# التوازن بين العقل و القلب في القرآن الكريم من منظور رسائل النور

**محمد رضوان خليل مجدلاوي**Ψ

يقول بديع الزمان: ''إن القرآن قوتٌ وغذاء للقلوب، وقوة وغناء للعقـــول، ومـــاء وضياء للأرواح، ودواء وشفاء للنفوس، لذا لا يُمَلّ. مثاله الخبز الذي نأكله يوميـــاً دون أن نملّ، بينما لو تناولنا أطيب فاكهة يومياً لشعرنا بالملل"[1].

من هنا أقول: التوازن بين العقل والقلب في الشرع حتمي، دليله ابتداء التنـــزيل من أول سور القرآن نـــزولاً بل من أول كلمة نـــزلت من القرآن وهي "**اقرأ**" [اقرأ: 1-5]، وهذا ليس عبثاً إنما دلالة على أن هذا الدين الجديد مبنيٌّ على أسس عقلية ودعوة علمية لرفع شأنهما ووضعهما في الموضع الصحيح، فالتأكيد على دعوة التفكير مرتبط بتوفيـــق الله عزّ وجل مع خالص النية له، وهذا عمل القلب المقترن بعمل العقـــل، إذ الحركـــة متكاملة ومنسجمة بينهما لذا بدأ النـــزول بـــ "**اقرأ باسم ربك**" وقوله "**الذي خلـــق**" تأكيد على الربوبية والعبودية في الآن ذاته مع وجوب النظر فيما خلق ثم الإذعان له بعد القناعة المثبتة في العقل، هذا الوجوب أُكّد في آيات كثيرة بين دفتي القرآن الكـــريم. ثم خصص ذكر الخلق بالإنسان عندما كشف مقدار ضعف هذا المخلوق المتجبر المتكـــبر، مبيناً لـــه بداية تكوّن خلقه حينما كان منياً يمنى، مروراً بالمضغة حتى أصبح علقة، فقال: "**خلق الإنسان من علق**"، بعدها نرى رب العزة الحكيم العليم يعيد التركيز على العلـــم ووجوب التعلّم بقوله: "**اقرأ**" مرة أخرى تأكيداً على أن الله الأكرم كرّم الإنسان بـــأن وهبه العقل الذي يتمتع بالإرادة والاختيار، مع منح العقل آلية العمل الذاتي من خـــلال عملية التفكير للوصول لنتيجة أرادها هذا العقل؛ كي يصب ما اقتنـــع بـــه إلى القلـــب ليشكلا اتحاداً متجانساً متوازناً يسمى اللب، بعد ذلك يرشدنا الله العلي إلى أفضل سبيل لطريقة التعلّم والتعليم وهي التعليم المنهجي ضمن أصول وأسس عملية صحيحة، قـــال الله عزّ وجل: ''**الذي علم بالقلم**'' وهذا يعني وجوب محو الأمية، ليس فقط أمية القراءة

---

Ψ فلسطيني من مواليد دمشق سنة 1963 ، ماجستير في علم مقاصـــد الشـــريعة الإســـلامية، درس فـــي موضوع اختصاصه في معاهد مختلفة ويعمل حاليا في مجال الإعلام الإسلامي عبر الأنترنيت.

والكتابة إنّما أمية المعرفة اللُّبِّيَّة والعلمية التطبيقية، أي أمية البناء العقلي والقلـبي السـليم للفرد والأمة. ثم أتبع الذكر بقوله تعالى: "**عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**" أي كل العلـوم التي يحتاجها الإنسان في سبيل تحقيق معنى الخلافة وتحمل الأمانـة علـى هـذه الأرض والاستفادة من كل المقدّرات المادية والمعنوية التي سُخّرت للإنسان في سـبيل ذلـك، وللفت نظر الإنسان عموماً ورجال الدين خصوصاً، لم يبدأ الله الذكر الحكيم بالـدعوة لتعلم علوم الشرع، إنما بدأ الذكر الحكيم بالدعوة لتعلم العلوم البحتة التي توصله لسلامة الاعتقاد بطرق عقلية، مع الحرص على سلامة الجسد والاستحواذ على السبل الماديـة، حتى تكتمل سلامة الإنسان بسلامة روحه ونفسه عند اتباعه نهج القرآن، وسلامة اللب عند تغذيته التغذية الصحيحة على أسس سليمة، مع سلامة الجسد ليصبح الإنسان المؤمن قوياً في البناء العقلي والقلبي،مع وجود الصحة النفسية والجسدية.

ثم يحدثنا الله سبحانه وتعالى عمن تتلمذ ودَرَجَ في مسالك العلم حتى غدا رائداً فيه، عندما أورد الحكيم العليم في محكم التنـزيل قوله العزيز: "**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْـطُرُونَ**" [القلم: 1]، مبيناً عجز العلماء ومؤكداً على التعليم.

يترسخ الإعجاز للعلماء بافتتاح السورة التي أسماها عزّ وجل سورة القلـم، عنـدما أخفى مقصده السامي من افتتاح مثل هذه السور بأحرف ستر معناها، فتفسير العلمـاء لهذه الأحرف لا يبتعد عن الخطأ مع احتمال القليل من الصواب دون تيقن منه، وهـذا ليس إنقاصاً لعلمهم أو شخصهم إنما لم يؤت الإنسان من العلم إلا القليل، لكن البعض يغتر أحياناً بما تعلمه وامتلك ناصيته فيحيده عُجْبه عن جادة الصواب.

أما تأكيد الخالق في الحض على التعليم فيتجلى بقَسَمه براية العلم وهي القلم، والخالق لا يقسم بمخلوق إلا إن كان ذو شأن عنده؛ كي يلفت نظر من يعقل إلى خطر ما أقسم به، وهنا يتجلى دور المعدة الهاضمة للمادة العلمية السليمة من الآفات، بفرز خلاصـة الغذاء لعقل الإنسانية وبناء حضارتها، عن طريق تسطير وكتابة ما اجتهد به اللب المنور بنور العلم الكسبي الممزوج بنور العلم اللّدنيّ المرتكز على ضياء العلم المقاصدي، لذا نجد حال العالم يلهج بذكر وحمد الله سبحانه وتعالى، كما يقول عزّ وجل: "**مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ**" [القلم: 2].

لذا أرى أن اللبّ المدبّر في الشريعة للوصول لمرامها هو علـم مقاصـد الشـريعة الإسلامية، والمقاصد قسمان:

الأول: هو قصد الشارع مما خلق، وهو تحقيق السعادة لخليفة الله علـى أرضـه في الدارين، إن اتّبع تعاليم الله عزّ وجل ونبيه صلّى الله عليه وسلم، يقول بديع الزمان: "إن

ما في هوية قلب الإنسان من لطائف، وما في دفتر عقله من حواس، وما في فطرته من أجهزة وعتاد متوجهة جميعاً ومعاً إلى السعادة الأبدية، بل ما مُنحت له إلا لأجل تلك السعادة الأبدية"[2].

الثاني : هو قصد الشارع من وضع شرائعه للبشرية. فعندما أراد الإنسان واختار بحرية أن يحمل الأمانة بعدما أعمل ما وهبه الله عزّ وجل من عقل، مستنداً إلى مداركه الحسية، قرر أن يحمل أمانة تبليغ كلمة التوحيد، عند ذلك جعل الله تعالى الإنسان خليفته في الأرض، ومكّنه من كل اللوازم التي تحقق الخلافة، المادية: لإعمار الكون، والمعنوية: بإرسال الرسل ليُبَيِّنوا طريق الهداية للإنسان، كي يسلك أحد السبيلين، الهداية أو الضلال. يقول بديع الزمان: "اعلم ! أنه كما أنه محال أن لا يكون لهذا المُلك المُعتنى به مالك، كذلك محالٌ أن لا يتعرف ذلك المالك إلى الإنسان الذي يدرك درجات محاسن الملك الدالة على كمالات المالك، مع أن ذلك الإنسان كالخليفة في مهده الممهّد له يتصرف فيه كيف يشاء؛ بل في السقف المحفوظ السماوي أيضاً بعقله. ومع ذلك إن الإنسان أشرفُ المخلوقات بشهادة تصرفاته العجيبة الخارقة مع صغره و ضعفه، وأنه أوسعُ الأسباب اختياراً بالبداهة. فبالضرورة يرسل المالك من يعرّف المالك إلى مماليكه الغافلين عنه ويخبرهم ما يرضى به ويطلبه منهم ذلك المالك جلّ جلاله .."[3] .

واليوم نقف بين يدي ذكرى رجل أدرك أبعاد المقاصد، سخر حياته وقلمه في سبيل تحقيق مقاصد الشارع مما خلق خصوصاً ومن الشريعة عموماً، وإن لم يتعرض لعناوينها وأبوابها وفصولها، لكنه فهم مقاصد النصوص الشرعية التي تسمو بإنسانية الإنسان وتحقق سعادته في الدارين، دون أن يلتفت إلى من قزّم علم المقاصد وحصره في الأحكام الفقهية وحسب، بل خطا خطوة واسعة باتجاه الفهم الأعمق لأسرار العلاقة السليمة بين الله عزّ وجل وبين الإنسان، وعى أن السعادة تنطلق مع بذرة اليقين الأولى التي غرسها العقل المقتنع بوحدانية الخالق في القلب، فتوجه إلى تعميق العلاقة من خلال فهم الخطاب المقاصدي للعبادات[4]، التي تتجلى ثباتيتها من تجليات بعض أسماء الله الحسنى على من امتثل أوامر الله تعالى التعبدية، كي تترعرع هذه البذرة في تربة صالحة فتنمو وتنمو لتصبح شجرة مثمرة تظل بفيئها حواس الجسد وأعضائه، هذه الشجرة تدعى اللب وثمارها مما لذّ وطاب من صالح الأعمال.

وما نراه اليوم من انحطاط المسلمين نتيجة اغتيالهم لألبابهم، الذي أستدل عليه بما يؤدونه من عبادات وأعمال مفصولة العرى ومنفصمة عن مقاصدها، لا تهذب نفساً ولا تنهى عن فحشاء أو منكر. يقول بديع الزمان: ''اعلم ! أن من الدليل على أن القلب ما

خُلق للاشتغال بأمور الدنيا قصداً؛ إنه: إذا تعلق بشيء تعلّق بشدة،واهتمّ بــه اهتمامــاً عظيماً، ويتطلب فيه أبديةً ودواماً.. و يفنى فيه فناءاً تاًماً. وإذا مدّ يده يَمُدّ يداً تطيق أن تقبضَ على الصخور العظيمة وتَرفَعَها، مع أن ما يأخذه بتلك اليد من الدنيا، إنما هو تينةٌ أو تبنةٌ أو ريشةٌ أو شعرةٌ أو هباءٌ أو هواءٌ .. نعم القلب مرآة الصمد، فلا يقبل حجــرَ الصنم بل ينكسرُ به. والعاشق المجازي يرى ظُلمَ معشوقه في الأكثر، بسرّ: إن المعشــوق بفطرته – بلا شعور – يردّ ولا يرضى ما ليس له بحق، وهو ليس بلائقٍ إسكانه في باطن قلب العاشــق.." [5].

ويقول بديع الزمان : " لا لذة للقلب حقيقةً فيما لا دوام فيه؛ تزول أنت، وتــزول دنياك، وتزول دنيا الناس"[6].

لذا لابد إن أردنا النهوض بالأمة من رقادها والسير بها إلى مكانتها السليمة، من أن نربطها بالعروة الوثقى من خلال الفهم الصحيح لعلم المقاصد الشرعية، كلٌ على قــدر إدراك عقله لما يستطيع استيعابه، فما حققه الصحابة والتابعين من نبوغ وشموخ بالأمــة لَهُوَ الدليل على فهم المقاصد القرآنية والسنن الإلهية والنبوية.

وقبل المضي في البحث أجد لزاماً عليّ أن أكشف اللثام عن علم المقاصد حتى نتبيّن مدى شدة الترابط والتوازن بين العقل والقلب والذي يوضحه العمل.

**فأعرف علم مقاصد الشريعة الإسلامية كما أرى، بأنّه:**

**"التَّيَقُّن من أهداف الشارع ومن حِكَمه بكل جزئيات الشريعة " .**

## شرح التعريف:

**التيقن**: "هو العلم الحاصل عن نظر واستدلال"[7]، ويتثبت هذا ببحث منهجي يفيــد القطع فيما نصل إليه من مقاصد سواء أكانت للشارع أم لشريعته، بعد أن كنا نجلها غير شاكين بها أو باحثين عنها.

**أهداف**: جمع هدف و "**الهَدَفُ، محركة**:... **الفرضُ**" [8]، وأرمي بالأهداف هنا: لكلّ ما يريده الله عزّ وجل أن يُحقق من تكوينه الخلق، بعدما تصدر الإنسان وحمل الأمانــة ابتداءً ثم في الحال والمآل، بشكل قطعي لا لبس فيه ضمن أدوات البحــث الصــحيحة بطرق معرفة المقاصد.

**الشارع**: هو الله عزّ وجل ، وما ألهم بنيه محمد صلّى الله عليه وسلم – المبلغ لما أُمر بتبليغه – من أفعال وأقوال وتقريرات.

**حكَم**: جمع حكمة، و"الحكمة بالكسر في الأصل هــي إتقــان العمــل والقــول وإحكَامها، وفي اصطلاح العلماء تطلق على معانٍ:... منها الحجــة القطعيــة المفيــدة

للاعتقاد دون الظن والإقناع الكامل" [9]. وهي عند علماء المنطق: " الحكمة قسمان: قسم هو تبصر القلب وتفكيره ويسمى العلم، وقسم هو حركة القلب وقوته ويسمى العمل" [10]. وعند علماء الكلام: " تطلق على معنيين: أحدهما الإحاطة المجردة بنظم الأمور ومعانيها الدقيقة، والجليلة. والحُكم عليها بأنها كيف ينبغي أن تكون حتى تتم منها الغاية المطلوبة بها. والثاني أن تنضاف إليه القدرة على إيجاد الترتيب، والنظام، وإتقانه، وإحكامه"[11]. وأقصد بالحكم معرفة حكم أحكام الشريعة، البينة منها والمخفية، بتَوفيَة عميق النظر المنهجي بتبصر وتفكر، من خلال طرق معرفة المقاصد في مسألة ما للتوصل إلى المراد ثم الإحكام والقطع والاقتناع التام به.

**كلّ**: يقول علماء الكلام: " كل مركب من أجزاء متناهية ذات أوائل فليس هو شيئاً غير أجزائه، إذ الكل ليس هو شيئاً غير الأجزاء التي ينحلّ إليها وأجزاءه متناهية كما بينا ذات أوائل"[12]. وأعني بكل أي جميع دقائق الشريعة الإسلامية وعظمائها، جزئياتها وكلياتها.

**جزئيات**: أي كل ما جاءت به الشريعة الإسلامية وحوته من أحكام تكليفية ووضعية ومن أخبار عن الغيبيات أو قصص لأمم سابقة، ومن أمثال ضربت للإفهام والإدراك والمقارنة، ومن جمل إنشائية لتثبيت اليقين أو للقسم، ومن سنن إلهية [13] وغير ذلك.

**الشّريعة**: شريعة الإسلام التي نزلت من عند الله عزّ وجل سواء أتت عن طريق جبريل عليه السلام للنبي محمد صلّى الله عليه وسلم أو الموحية إلى قلبه.

ولننتقل الآن إلى أمور لابد منها متعلقة بهذا العلم وتعريفه:

– **موضوعه** : مقاصد الشريعة العامة والخاصة في أحكامها التكليفية والوضعية وما حوته من أخبار وأمثال وجمل إنشائية وسنن إلهية.

– **غايته**: البحث عن مقاصد الشارع والشريعة.

– **منهجه**: لمنهج مقاصد الشريعة نقطتا ارتكاز تتمثل الأولى بالاستقراء و هو: "تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً"[14]، "ونريد بالاستقراء: كل استدلال تجيء النتيجة فيه أكبر من المقدمات التي ساهمت في تكوين ذلك الاستدلال" [15]، ومن التعريف نجد أن للاستقراء قسمين: أحدهما تام والآخر ناقص، فتتبع كل الجزئيات هو استقراء تام يفيد القطع لليقين فيه، أما تتبع بعض الجزئيات فهو استقراء ناقص دون درجة اليقين والقطع قوة وضعفاً باطراد، إذن الاستقراء التام هو الخطوة الرئيسة والأولى لمعرفة المقصد – إذ إن نتيجة الاستقراء أكبر

من مقدماته لذا نجد الدليل الاستقرائي يسير من الخاص إلى العام – وبتحقيــق المقصــد بالواقع عند مراقبة التنفيذ نكون قد وضعنا يدنا على المرتكز الثاني، فعند المتابعة والمراقبة لآثار تنفيذ الأحكام الشرعية أو عدمها في الواقع، نقوّم هذه الآثار ونحــدد بدقــة أثــر المقصد من تشريع هذا الحكم أساساً، وأعتقد بأن قرون التطبيق السابقة كفيلة بــذلك، فالمنهج المقاصدي منهج عقلي برهاني ميداني تجريبي، وبذلك يستحق أن يوصف بالمنهج العلمي دون أدنى لبس.

**ثمرته**: إذا تم لنا استكمال المنهج، حينئذ يتمكن العالم المقاصدي أن يقــرر نتيجــة قطعية، وبذلك يساهم هذا العلم المبني على مجموع هذه القطعيات في حسم الخلافــات والانشقاقات الفكرية العلمية لعلمائنا خصوصاً، وفي الفكر الإسلامي عموماً، وبــذلك يكون لهذا العلم دوراً توحيدياً أساسياً في حياتنا العملية والعلمية الفقهية منــها أو غــير الفقهية .

أعود الآن للمضي في البحث، فأقول:

وهب الله العقل منــزلة خطيرة يتجلى ذلك في الإسلام آخر الرسالات الإبراهيمية، إذ يفيض القرآن الكريم بالدعوة للنظر والبحث في السماء وفي الأرض، بل في كل خلق الله تفكراً يتماشى أولاً مع الفطرة السليمة، وثانياً مع الفطرة التي شوهت بمفاهيم خاطئة. هذا التفكر يوصل المرء إلى عين الحقيقة إن نوى معرفتها بالبحث، ثم أذعن للحق بعــد ذلك. هنا مدح الله صاحب العقل وأثنى عليه، أما إن أراد ابتداءً تشويه الحقائق أو عدم الانصياع لصوت الحق والعقل السليم فهو مذموم مدحور، يردي نفسه وإطاره لمهلكــة حقيقية.

والإسلام دين العلم، والعلم مبتدأه العقل وموضع استقراره اللّب، لذلك ســخرت الحواس له، وأخضعت الجوارح لأوامره، فإن هُذّبت النفس وأصبح الهوى تبعاً للعقــل السليم ولتعاليم السماء، أفلح صاحب هذا العقل في دنياه ببناء نفسه وأسرته ومجتمعــه وأمته، وفاز في أخراه، أما إن غدا العقل تابعاً ومرؤوساً بعد أن نُحيّ عن وظيفة الريادة والرياسة وكان مساقاً بهوى النفس وتجاذب الشهوات ضل صاحبه وأضلّ من شاكله.

ولأن الله وضع العقل السليم موضع الميزان والمقياس لكل صالح وفاسد، فقد جعــل مناط التكليف ببلوغ المرء المبلغ المطلوب منه من هذا التمييز، وحتى لا يكون ذلك تبعــاً لأهواء الناس، جعل الله هذا المعيار عند استطاعة الإنسان على الإنجــاب، وأن يكــوّن أسرته، فعند بلوغ الإنسان الحلم يصبح مطالباً شرعاً بالتزام أوامر الله والانتــهاء عــن نواهيه.

وقبل المضيّ قدماً في البحث، أرى أن نتبيّن معاً تعريفي للعقل ومن ثم للقلب من رؤية مقاصدية فأقول :

السؤال الآن هل المقصود بالعقل هو الدماغ[16] المحاط بجمجمة الرأس ؟ وهل المقصود بالقلب العضلة الصنوبرية النابضة والقابضة المتواجدة في الجهة اليسرى من صدر الإنسان؟ الحق إنني لا أقصد هذا إنما أريد غيره أُبيّنه بما هو آت:

يحتوي الجسد بداخله على مصدر للطاقة يجعل أجهزة الجسم وحواسه وأعضائه تعمل وفق نظام دقيق، وهذا المصدر هو الروح التي نفخها الله جلّ جلاله في أجسادنا.

لكننا ندعوها بالنّفس عند استقرارها في الجسد، لاستطاعة الإنسان الذي بُثّت فيه الروح وباختياره هو، إما أن يسمو بالنفس عندما يتّبع ما أوحى الله تعالى به ويجعل هوى الشهوات تابعة لا متبوعة، أو أنه ينـزلق بنفسه لاهثاً خلف هوى الشهوات يُلبّي مآربها، لذا صنّف الخالق جلّ جلاله النفس بأصناف ثلاثة هي:

**النفس الأمّارة:** قال عزّ وجل: [**إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ إلاّ مَا رَحِمَ رَبِّي**] [يوسف: 53]، هذه النفس طَبَعَها الهوى بطابعه وشوّه فطرتها، فتغلبت على العقل وجعلته أداة تفكير مسخرة لتحقيق الشهوات كيفما كان السبيل لذلك.

**النفس اللوّامة:** قال عزّ وجل : [**وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**] [القيامة: 2]، النفس هنا تعيش حالة صراع بين إيمان يقيني وغفلة عارضة، ضَعُفَ معها الإنسان فنهش الشّر من ثوب إيمانه قضمة، يشعر بألمها المؤمن فيصحو من غفوته العارضة، حينها يسارع بالندم والتّوبة النصوح ليُرقّع خرق ثوب إيمانه.

**النفس المطمئنة** : قال الله عزّ وجل : [ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**] [الفجر: 27-28]، هذه النفس ذات لبّ يقيني إيماني متصل بالله سبحانه وتعالى الواحد الأحد، زكّى نفسه بتزكية القرآن وصدَق في ارتقاء درجة النفس اللوّامة كي يستقر في منـزلة النفس المطمئنة، فصَدَقه الله جلّ جلاله وَعْدَه وجعله من عباده المُخْلَصين، فحفظه مما يُشغل اللبّ عن الاتصال.

ونلاحظ وجود درجتين للنفس المطمئنة، نتبينهما مؤكدتين بقولهعزّ وجل : [ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**] [ التوبة: 100]، وهما:

**أ** – النفس الراضية : وهي من رضيت بما وهبها الله تعالى.

**ب** – النفس المرضية : وهي نفس طلب الله رضاها، كنفس الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه.

والنفس ندعوها بالروح بإحدى حالتين:

1- إن كانت خارج الجسد، سواء قبل دخولها فيه أو بعد خروجها منه، فعالمها عالم الأرواح، وذلك لعدم منازعة الهوى لها، وحدوث مدّ وجذر لاختيار أحد السبيلين، الهدى أم الضلال، لأنّها إما ما زالت على الفطرة قبل أن تُنفخ في الجسد و لم تُصْبَغ بعد بما يؤثّر على ما سيختاره صاحبها، أو أنّها صُبغَت من قبَل من نُفخَت فيه بصبغة اختارها صاحبها، وليس بإمكانه بعد موته أن يُبدِّل ما أراده لنفسه من خير أو شرّ عندما كان يستطيع ذلك في حياته الأولى. والروح قادرة في عالم البرزخ - أي بعد الموت وقبل البعث - ، على القيام بما أُذنَ لها من أعمال.

2- إن كانت في الجسد لكنها سمت واتصلت بالله عزّ وجل واستقبلت نور ضيائه، وضياء تعاليمه ونفحاته، فهي نفس مطمئنة أبقاها صاحبها بعد تفكّر و تدبّر على الفطرة السّليمة، بعد منازعة الهوى لها وإنزاله الغرائز في الموضع المأمور به شرعاً، فأمسى مُسْعَداً بما وهبه الله تعالى إيّاه من نعم وفضل.

وللنفس بالإجمال نقطتا ارتكاز:

الأولى: مركز العمليات الفكرية وإصدار الأوامر ويدعى هذا المركز العقل، قال تعالى: [**وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا في أَنفُسكُمْ**] [البقرة: 235]، أي ما تفكرون به وتتدبرون وتكتمون، وهذا المركز متوضِّع على الدماغ الذي يرسل بدوره الإشارات الكهربائية بوسائل كيميائية إلى كل نواحي الجسد.

الثانية : مركز استقبال القناعات الفكرية التي تتحوّل إلى يقين يُطبِّع الشعور والإحساس الوجداني الداخلي بما اقتنع، وبالتالي إما أن يكون صافياً مصقولاً كوجه المرآة المستقبلة للأنوار الإلهية، أو أن يكون كخلفها قاتماً لا يمكن أن يستقبل نوراً أو ضياءً. ويدعى هذا المركز القلب، يقول تعالى: [**مَنْ كَفَرَ بالله منْ بَعْد إيمَانه إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنٌّ بالإيمَان وَلَكنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْر صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ منَ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ**] [النحل: 106]، وهذا المركز توضع على عضلة القلب.

ثم إننا نجد لكلٍّ من العقل والقلب منبع نور يتوسط هذين المركزين ويطلق عليه اللُبّ، لبّ العقل ولبّ القلب، ولا يمكن أن ينكشف الحجاب عنهما إلا عن طريق التدرج اليقيني والإيماني؛ كي يُزال الرّان عن القلوب [**كَلاّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبهمْ مَا كَانُوا يَكْسبُونَ**] [المطففين:14]، ثم اتصالهما بالله الواحد الأحد اتصالاً يليق بمقام الله جلّ جلاله كخالق ومعبود، ويتماشى مع منزلة الإنسان الذي فضله على كثير ممن خلقه، ويتساير مع ما يسّره الله لإطاعة بنان الإنسان. في هذا الاتصال الحقيقي مع الله جلّ جلاله يتوجه كل من اللبّين للاتحاد والانصهار؛ ليتولد بعد ذلك لبّ واحد يستقبل

ويرسل العلم الكسبي، والبحثي الاجتهادي، واللدنِّي، وهذا تصـديقاً لقولـه تعـالى: **[وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا]** [الكهف: 65]، وورد في موضع آخر من آيات الذكر الحكـيم قوله تعالى: **[وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا]** [طه: 99]، والذكر هنا هو القرآن الكريم.

هذا الرابط بين اللبّ المتّحد، والله جلّ جلاله يُوَلِّد حباً صافياً لله تعالى لا يشاركه به بنفس الموقع إلا صفي الخلق صاحب آخر الرسالات محمد صلّى الله عليه وسلم ، لـبّ خال من الأغيار، فارغ من حب غير الله تعالى أومن اصطفاهم من الخُلّصين الصـادقين العاملين.

يقول بديع الزمان: ''اعلم أن المتكلم كما يفيد المعنى ثم يُقْنِع العقل بواسطة الـدليل؛ كذلك يلقي إلى الوجدان حسيِّات بواسطة صور التمثيل فيحرك في القلب الميل أو النفرة ويهيئه للقبول. فالكلام البليغ ما استفاد منه العقل والوجدان معاً، فكمـا يتـداخل إلى العقل يتقطر إلى الوجدان أيضاً''[17].

هنا نسمع البخاري يروي عن عبد الله بن هشام حيث قال: "كنا مع النبي صلّى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال صلّى الله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده، حـتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلّى الله عليه وسلم : الآن يا عمر''[18].. هذا الحديث فيه من الرمزية الشيء الكثير، لغة يفهمها من تعلمها أو تعلم الكثير منها. فإن قلت لكم إن المعادن كالنحاس أو الحديد تنقل التيار الكهربائي أو الحرارة، لبادرتم سراعا تقولون أصبت إذ التجـارب العلمية المتخصصة أو التجارب الفردية تثبت ما قلت، إذن عكس النتيجة المجربة مرفوض، في هذه نسلم ونستسلم للحواس. أما في ما حصل مع عمر رضي الله عنـه فنقـف ولا ندرك غور الحديث، لأنّ الكثيرين يفتقدون ما يكتسبه المتيقن بعد تَفَكُر.

إذ ما شهدناه بين المعلم المصطفى محمد صلّى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، هو ذات الصّراع الذي يحدث لنا في مرحلة النفس اللوامة، فسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم ينقل العلوم لعمر رضي الله عنه عن طريق الحقن الجسدي، مـن خـلال تشابك الأيدي بحوار مستطير بين نفس رسول الله صلّى الله عليه وسلم المطمئنة، وبـين نفس عمر رضي الله عنه اللوّامة، قبل أن يتّحد لبّ العقل ولبّ القلب في ذات الاتجـاه عنده، أحس كيانه بالحوار الداخلي فأفصح هواه عن مراده ناطقاً باللسان، لعدم قـدرة الهوى على خوض مثل هذا الحوار والتلقي، جاء الكلام خليطاً مـن حُـبَّين حـبّ الله سبحانه وتعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلم ، مع حبّ الأنا والهوى، أتـى الجـواب:

أحبك يا رسول الله، وأحب ما تبُثُّه فيّ، ولك جسدي ومالي، ولكن الأنا وهوى النفس يقفان حاجزاً أمام مدٍّ عطائك، يجذبني الهوى إلى هواها. هنا زاد رسول الله صـــلّى الله عليه وسلم الجرعة التي تذيب حاجز الأنا في وعاء الحب، مع بلسم شاف من الكلمات التي لا تُبقي أثراً لخدش في منهج العلاقة الخالصة لله، وقال له بما معناه: سعادتك في الدنيا والآخرة هي بإعادة وضع اللبّ في موقع القيادة، وجعل الهوى تابعاً لما هو أسمى، هـــذه الجرعة الزائدة مع البلسم الشافي من الكلمات، أذابت حاجز النفس الشاهق عنـــد ابـــن الخطاب، فاستوى مع طريق المنهج الممهد ليتابع السير بعدها عمر رضي الله عنـــه، بـــل وكل مَن أراد أن يسلك سلوكه من بعده ليصل إلى سعادة حقيقيـــة، ســـعادة الـــدنيا والآخرة، هنا نطق الحال والمقال عما جرى من ذوبان للأنا وتقهقر للهوى مفصحاً عن حب خالص لله ورسوله لا يواز يهما حب الذات أو الأنا، عند ذلك دوت كلمة رسول اللهصلّى الله عليه وسلم : (الآن يا عمر) مُقرّاً له ما فعل وشاهداً له بالخلود، فولج عمر بأكاديمية المريدين يتتلمذ فيها ويرتقي في درجات سلمها ليصبح يوماً هو قائدها، دوّت كلمة رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى يوم يبعثون، يسمعُها من وعيها وأدرك سُبُلها ومَسْلكها.

هذا الاتحاد اللبّي، والانصهار الحبّي في الاتجاه، هو من يعيننا على فهم قصد الشارع والشريعة كتاباً كريماً وسنةً مطهرةً، هو الذي ينهض بالفرد والأسرة والمجتمع، لذا علينا معرفة أبواب الولوج والوقوف عندها نَقْرَعُها بقوة لنلج فيها. والسّر يكمن في معرفـــة نقطة الانطلاق عند الوقوف مع الذات وسؤالها إلى أين المسير؟ وما هو المبتغي؟ أإيمـــان وراثي قد لا يُثمر، أم إيمان اعتقاديّ بناء؟

لننطلق من حيث انطلق عمر رضي الله عنه حيث أخذ يد النبي صلّى الله عليه وسلم، فلنأخذ بيد من ورث علمه واستقبل العلم اللدنّي، فلا خير في أمة يقودها الهوى ودافـــع الأنا ويفقد فيها صانع النفوس المطمئنة، لذا علينا أن نحيي سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلم كما سلك طريقها عمر رضي الله عنه، عندئذ نفوز بحب الله وصـــفيه. لنســـير بنورها ننقل الأمانة التي حملناها كي يصبح الفرد فينا أمة وحده كأبينا إبـــراهيم عليـــه السلام.

وفي هذا الصدد أقول: إن إعمال العقل ينبغي أن يرافقه التعليم، وأن تُسأل النّفس هل هي أهل لتلقيه، فإن كان الجواب نعم فنعمّا، وإن كان العكس فعلى المرء أن يؤهل نفسه لتُستقبل المعلومة وتُعالج إيجاباً أو سلباً؛ لَيَصل المرء للقناعة الثابتة بعدما كُشـــف عمـــا غُمَضَ عليه وغُمِض، وإلا كان الاعتقاد للأنا والذات الذي يولّد الغرور والرياء ونَفْـــق

الإخلاص لله جلّ جلاله، وقتئذ يُنتَج بناء هش، يسقط عند الهزّة الأولى، لذا علينا أن ننمي بداخلنا نفساً مطمئنة لبيئة، كي نصل إلى السّلام الحقيقي بكلّ ما أُمِنّا عليه في أجسادنا أو بمن نحن مسؤولون عنهم، سلام مع الله عزّ وجل والنفس والإطار المحيط بنا سواءً أكان الأسرة أم المجتمع . يقول بديع الزمان : "إن إصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين ولن تنعم بالصحة إلاّ بتقوية الدين"[19].

والآن أبين تعريفي للعقل بقولي:

**العقل: هو النُّهْيَةُ لما تَنقله الحواس، يَتَوصّل بحركته الذَّاتيّة إلى المقصود.**

**النُهيةُ**: جاء في القاموس أن النهية: ''غاية الشيء وآخره كالنهاية والنهاءِ مكسورتين، وانتهى الشيء وتناهى ونهّى تنهية: أي بلغ غايته"[20].وقلت النهية لأن ما تراه العين، أو تسمعه الأذن، أو يشمه الأنف، أو يتذوقه اللسان، أو تلمسه اليد، يدرك بالعقل وحده، إذ المنتهى إليه. فهذه الحواس منافذ للعقل على العالم الخارجي، فيها يكتسب العلم ويزداد معرفة بالإطار المحيط بنا.

وعلى هذا فهو الآلة العاملة وما يعقل به لتتكون مجموعة من المبادئ العقلية عند المرء عن طريق الاكتساب المعرفي والعلمي من خلال منافذه، وبهذا يشترك الإنسان والحيوان في إدراك العالم الخارجي عن طريق الحواس كلّ على قدره.

**يتوصل**: ورد في القاموس المحيط: ''وَصَلَ الشيء بالشيء وَصْلاً وصِلَةً بالكسر والضم، ووصَّله : لَأَمَهُ، ووصِلك الله ، بالكسر لَغَة، والشيء وإليه وُصولاً ووُصْلَةً وصِلةَ: بَلَغَهُ وانتهى إليه"[21].

**بحركته**: ذكر (الفيروزآبادي) في قاموسه: "حَرُكَ، ككَرُمَ، حَرْكاً بالفتح، حركةً ضد سَكَنَ"[22].

**الذاتية**: ذكر الأصفهاني عن الذَّات ما يلي: استعار أصحاب المعاني الذَّاتَ، فجعلوها عبارة عن عين الشيء جوهراً كان أو عَرضاً، واستعملوها مفردة ومضافة إلى المضمر بالألف واللام، وأجروها مجرى النفس والخاصة، فقالوا: ذاتُه، ونفسُه، وخاصتُه"[23].

والقصد من عبارة ''**يتوصل بحركته الذاتية**'' : أي أن العقل – عضوٌ كان أو جهاز – فهو مستقلٌ بذاته كالقلب ودورته الدموية، وكجهاز التنفس، وظيفة العقل إدراك المعلومة وتخزينها وتصور معناها وتخيل أبعادها لتصبح عنده ملكة تكون له نوراً يهتدي به عند احتياجها.

وعلى هذا فهو الجوهر ذو القوة المحركة الذاتية صاحب الملكة الخاصة التي يعملـــها بالتفكر والتدبر والتصور والتخيل والتذكر والبحث بعد الإدراك، ليعطي حكمه فيمـــا يعرض له، وبهذا يفترق الإنسان عن الحيوان.

**إلى المقصود**: ذكر الأصفهاني أن :"القصد استقامة الطريق، يقال: قصدتُ قصـــدْه، أي نحوتُ نحوه... وأقصدَ السهم: أصاب وقتل مكانه، كأنه وجد قصده، قال:

فأصاب قلبك غير أن لم تُقْصد"[24].

وأتممت عبارة: "**يتوصل بحركته الذاتية**" بقولي: "**إلى المقصود**" ذاهباً إلى أننا بعـــد إعمال العقل لابد من ظهور نتيجة لهذا التفكير، وهذه النتيجة أتت بعد مخاضٍ عقلي يبدأ بإدراك المعلومة، ثم التفكّر بها للتوصل لفكرة تكون النتيجة لعملية التفكير، وهذه النتيجة هي المقصودة من الاكتساب العلمي والمعرفي والمعالجة ضمن العقل؛ حتى يتوصل الإنسان لما يعتبره محموداً لديه، ومقصداً له.

ولننتقل الآن إلى أمور لابد منها متعلقة بهذا التعريف:

نلاحظ أن للمولود الحديث الذي لم يتجاوز من العمر ساعة من الزمن، لـــــه إرادةٌ واختيارٌ، نابعة من عقله الفطري، فنراه يطلب بشكل غريزي ما يسد جوعه أو يـــرفض بشكل تلقائي شيئاً مرَّ المذاق، أو أنه يتقبل الماصّة (اللهاية) أو يرفضها، فإن تقبلّها وأردنا نـــزعها منه فنجده يمسك بها بلثته معبّراً عن رفضه لنـــزعها، وإن أجبرناه عليها نـــراه يقذفها بلسانه رافضاً إياها. فلو تأملنا هذه الحادثة لأدركنا بأن الله عزّ وجل شأنه، وهب الإنسان منذ ولادته عقلاً فطرياً له إرادةٌ واختيارٌ على قدره. بل إن هذا العقل يدرك حتى قبل الولادة فيتأثر بحزن أمّه أو فرحها. ويكون هذا أيضاً إن أسمعناه مثلاً لغة مغايرة للغته. بل يكون أسرع من غيره في تعلّم هذه اللغة، فيسهل عليه تعلمها بعد ولادته عند وعيه. كل ذلك أثبته العلم الحديث.

وعليه :

**فوظيفة العقل الفطري والكسبي** زيادة علمه ومعرفته عن طريـــق الإدراك والفهـــم وتخزين المعلومة وتخيله للمحسوسات وتصوره للمعاني والبحث والتفكير. وغاية العقـــل بنوعيه للوصول إلى النتيجة التي يريدها ويختارها.

**ومنهجه** في العمل التلقيّ والإلقاء: تلقي المعلومة ضروريّة مسلّمة كانت أو مركّبـــة بعدَ نظر، ثم يلقي ما تلقاه من المعاني للقلب فيتأثر بها أولاً، ثم يرسل أوامره لأعضائه أو معها للغير كي يمتثلوا لما صدر من العقل من أوامر حتى يقوموا بما أملى العقل عليهم، عن طريق الإلقاء كلٍّ بإشارة ولغة يفهمها.

**ثمرة** ذلك: الثباتية ونيل الرضى إما لذاته عن طريق تحقيق خياراته وإرادته، أو للغير سواءً كان هذا الغير خالقاً أم مخلوقاً.

بين القلب و العقل:

لا أقصد هنا بلفظة القلب العضلة المسؤولة عن حركة القبض والبسط من أجل الدورة الدموية. إذ أن علماء الطب توصلوا إلى إجراء عمليات جراحية للقلب وتبديله. وعند تبديل هذا القلب لا نلمس من الإنسان الذي حمل قلب إنسان آخر حبّه لما أحبّ صاحب القلب الأصلي أو كرهه لما كره، لذا أتحدث عن القلب الذي يعلو القلب العضوي ويؤثر عليه.

يقول بديع الزمان: ''وأما [ **قلوبهم** ] قدّمه على السمع والبصر لأنه هو محل الإيمان.. و لأن أول دلائل الصانع يتجلى من مشاورة القلب مع نفسه، ومراجعة الوجدان إلى فطرته، لأنه إذا راجع نفسه يحس بعجز شديد يلجئه إلى نقطة استناد، ويرى احتياجاً شديداً لتنمية آماله فيضطر إلى نقطة استمداد، ولا استناد ولا استمداد إلا بالإيمان.. ثم أن المراد بالقلب اللطيفة الربانية التي مظهر حسّياتها الوجدان، ومعكس أفكارها الدماغ، لا الجسم الصنوبري. فإذاً في التعبير بالقلب رمز إلى أن اللطيفة الربانية لمعنويات الإنسان كالجسم الصنوبري لجسده. فكما أن ذلك الجسم ماكينة حياتية تنشر ماء الحياة لأقطار البدن، وإذا انسدّ وسكن جمد الجسم؛ كذلك تلك اللطيفة تنشر نور الحياة الحقيقية لأقطار الهيئة المجسمة من معنوياته وأحواله وآماله. وإذا زال نور الإيمان – العياذ بالله – صارت ماهيته التي يصارع بها الكائنات كشبح لا حراك به وأظلم عليه''[25]. ويقول بديع الزمان: ''أعني جملة [**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**] هو: أن سَوقها يفيد أنهم لما لم يعملوا بمقتضى المحاكمة العقلية والشعور الحَسيّ ظهر أن في روحهم مرضاً فلا أقل من أن يعرفوا أنه مرض ليجتنبوا عن القضايا ولا يحكموا عليها؛ إذ من شأن المرض تغيير الحقيقة وتشويه المزين وتحلية المرّ كما مر ..."[26].

قال تعالى: [ **لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا**] [الأعراف: 179]. كما قال عزّ وجل: [**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ] [الحج: 46] .حتى نفهم هذه الآيات لا بد من تعريف القلب، ومعرفة العلاقة بين القلب والعقل، وإني أعرّف القلب من ضوء مقاصدي بقولي:

**هو الذي تَنْطَبِعُ عليه المؤثرات الخارجية : سواء كانت عقليّةٌ أو لدنّيّة.**

وأقصد بقولي تنطبع عليه المؤثرات الخارجية: أي ما يعتري الإنسان من المشاعر الوجدانية والنفسية المتفاوتة، كالحب والبغض، والرحمة والجبروت، والخوف والأمان، والرهبة والرجاء، والحسد والغبطة، إلى غير ذلك.. كل هذه المعاني وغيرها يتأثر القلب بها، عن طريق مؤثر خارجي منفذه للقلب العقل الذي هو الحاسة الجامعة لكل منافذ الحواس، فهو – أي العقل – عين القلب، يأخذ خلاصة النتيجة التي يتوصل إليها العقل بإدراكه.

وأذهب بقولي: "سواء كانت عقلية أو لدنيّة" إلى أن المؤثرات العقلية الفطرية أو الكسبية تنطبع على القلب عبر وسائل نقل هذه المؤثرات بعد إدراك العقل لها.

أما قولي: "لدنّية" فهي إلهام مباشر للقلب إما عن طريق وحيٍ من الله عزّ وجل، أو بإيحاء منه تعالى للقلب، أو برؤيا صادقة، ولا يكون ذلك إلاّ لقلبٍ صاف لا ران عليه. ثم بعد ذلك ينعكس هذا الإلهام الربّاني من القلب إلى العقل ليدركه ويعملً وفقه.

**علاقة القلب بالعقل:**

يقول بديع الزمان: "... فالعقل والقلب هما بحكم نواة الإنسان ولبّه وبفضلهما استطاع أن يصبح ثمرة الكون، ويملكان من القدرة على الانبساط والاتساع ما يمكنهما أن يطويا العالم كله رغم صغرهما، فرأى السائح: إن القلوب والعقول برازخ إنسانية بين عالمي الغيب والشهادة، فالعلاقات والعلامات بين ذينك العالمين – بالنسبة للإنسان – تجري في تلك النقاط؛ لذا خاطب عقله وقلبه معاً قائلاً : "أقبلا، فإن أقصر الطرق الموصلة إلى الحقيقة هي من بابكما فهيا لنستفد بمطالعتنا العقول والقلوب المتصفة بالإيمان ودراستنا كيفياتها وألوانها، فهذا درس لا يؤخذ من الألسنة كما هو الحال في الطرق الأخرى"[27]، كما يقول بديع الزمان: "اعلم ! أن عقلي قد يرافق قلبي في سيره فيعطي القلبُ مشهودَه الذوقي ليد العقل؛ فيبرزه العقل على عادته في صورة المبرهَن التمثيلي. ومن تلك الحقائق أن الفاطر الحكيم كما أنه بعيد بلا نهاية، كذلك قريب بلا غاية. وكما أنه في أبطن البطون، كذلك فوق الفوق. وكما أنه ليس داخلاً، كذلك ليس خارجاً"[28].

عندما يتوصل الإنسان بعد بحث ونظرٍ بعقله إلى وحدانية الخالق تنصبُّ هذه القناعة من العقل الذي يستقبلِ شرع الله، إلى القلب لتُزرع بذرة اليقين وترعى الرعاية السليمة حتى يصبح القلب موقناً بالله مستقبلاً لتعاليمه ونوره، هذا العقل يرقى إلى الحكمة والحلم من خلال ما اكتسبه من علمٍ، عن طريق التلقي والبحث وإعمال العقل بالتفكّر، ومن انعكاس المعرفة الإلهامية من القلب إلى العقل الذي يستقبل – أي القلب – أنوار الله عزّ

وجل بعد زوال الرّان الذي يغلّف القلب من المعاصي فتنعكس هذه الأنـوار أول مـا تنعكس على العقل المفكر؛ ليصبح نوراً هو الآخر يضيء بشكل أَشّدُ وَهجاً ممـا كـان عليه، بسبب اكتسابه الحكمة والحلم، فما يصدر بعد ذلك من الإنسان من قول أو فعل نجده مستمداً من أخلاقيات وتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرّة، مستمداً من الله عـزَّ وجل ونبيه محمد صلّى الله عليه وسلم.

هنا نرى عملية دمج واتحاد بين العقل المقتنع والقلب الموقن ليطلق عليهما معاً لفظـة اللّب. بهذا الشكل يكون القلب صاحب بصيرة وهذه البصيرة مصدرها العقل الحكيم.

يكون العقل صاحب نور، وهذا النور منعكس من القلب السليم، الذي تلقى أنـوار الله عزّ وجل ، هكذا نرى أداة التفكير التي وهبها الله للإنسان "وهي العقل" الذي يعمل وفق الشريعة يبدأ بالرّقي درجة فدرجة؛ حتى يصبح صاحب هذا العقل من أصـحاب أولي الألباب أي أصحاب العقول الذين بلغوا ذروة التفكير السليم المنور مـن الله عـزّ وجل ، فحصلت هذه العقول على درجة الحكمة وامتازت بـالحلم بتـأني أصـحابها وتبصرّهم في أمورهم، وسلوكهم طريق الله وتعاليمه. بهذا يكون الشرع هو حاكم العقل وموجهه الأوحد. لذا نرى هؤلاء الناس منتهين بطبعهم عما لا ينبغي، ممتـنعين عمّـا يُرديهم ويزلق أقدامهم في مهاوي ومطبات يقع فيها العوام أو المكابرون عـن الحـق أو المنافقون، نلفاهم أصحاب قلوب عاقلة مفكرة ترقى في درجات المعرفة الحقة. إذ اليقين تجذّر وتأصّل في قلوبهم فيصبح للقلب بصيرةً هي العقل المنور بنور الله عزّ وجل ، بعد أن كان للعقل فقط أداة بصر، كما يتمتع القلب بأذن رحمانية بعـدما كـان للعقـل أذنٌ اعتادت سماع اللغو والغيبة والنميمة واللغط من الحديث. ونرى القلب ينطـق بحكمـة سديدة من لسان صدق بعدما كان هذا اللسان يودي بصاحبه إلى ما لا يرضاه العقـل السليم.

إذن العقل غريزة واكتساب، بالنور الإلهي تنفتح له نافذة قوة البصـيرة، فمنافـذ الإدراك للعقل هي الحواس الخمس، ومنافذ إدراك القلب هي البصيرة. والبصيرة هنا هي العقل عن الله حكمة وحلماً من لدنه لتمام اللبّ الذي هو اجتماع تمام العقل الذي وهبه الله نوراً من نوره، مع القلب المنورّ المزال عنه المتعلقات الغيرية ورواسب الرّان مما اقترفت يد الإنسان، قال تعالى: [ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**] [المطففين: 14].

ولأن لكل مذنب عقوبة تقدر بقدر الذنب المقترف ليتحقق العدل، ولأن من اختار طريق الضلال بدلاً من طريق الهدى والصلاح، لذلك كله نرى عقوبته هي ختم الله على

قلوب الضالين المضلين في الدنيا، وسوء المصير في الآخرة، وذلك لعلم الله السابق بـــأنهم لن يختاروا طريق الهداية والحق؛ أعمى الله بصيرتهم، لأنهم:

أولاً: أغلقوا أعينهم عن الصواب، وصمّوا آذانهم عن كلمة الحق فلم يعملوا عقولهم لّما خلقوا بل جعلوا الهوى هو قائدهم ومحركهم.

ثانياً: غلفوا بالرّان قلوبهم بما اكتسبوه من الأثام، فختم الله جلّ شأنه على قلـــوبهم، لذلك قال تعالى: [ **لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا**] [الأعراف: 179]. أي لا يعقلون بها. لـــذا يجب على الإنسان أن يحقق معنى لا إله إلا الله بداخله. فإمّا أن يمتلكها أو أن تتملكـــه، فإن ملكها يستشعر بمراقبة الله عزّ وجل لـــه، وإن تملكته يقوم بأعماله وكأنه يـــرى الله عزّ وجل ، وهنا يحقق معنى العمل الإيماني للقلب واللسان والبدن، فعلى الإنسان أن يبدأ بمتابعة الحركة الداخلية الإيمانية لبذرة الإيمان القلبي فيه، ويسقيها من نور الله عزّ وجـــل حتى يفيض على عقله وقلبه ولسانه وجوارحه بل كلّ بدنه، وبالتالي يصبح مؤثرّاً بإطاره المحيط به بنّاءً لأسرته ومجتمعه معيناً للدولة لا هداماً فيها في هذا الصدّد أذكر حـــديثين لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، **الأول:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "قال رسول الله: إن الله تعالى قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتهُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه فـــإذا أحببتهُ كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأُعيذه"[29]. **والثاني:** حديث طويل وهـــو حوارٌ تعليمي بطريقة السؤال والجواب عندما أتى جبريل عليه السلام يسأل رســـول الله صلى الله عليه وسلم ليتعلم الصحابة – رضي الله عنهم – ومَنْ بَعدَهُمْ وهو مرويٌّ عن عمر بتخريج مسلم، جاء فيه: قال: فأخبرني عن الإحسان؟، قال : أن تعبد الله كأنـــك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[30].

**العقل عند علماء الفلسفة، و الكلام ، و المنطق [31]:**

كل ما قاله هؤلاء السادة العلماء يدلنا على أن العقل هو المسؤول في الجســـد عـــن التلقي والإلقاء يرقى إلقائه لداخله أو للغير من قولٍ أو فعل، يرقى بقدر رقيّ ما يتلقاه من مكتسبات معرفية وعلمية فإن استطاع العقل أن يسمو حتى يرقى لمرتبة الحكمة والحلم، يستطيع وقّتها أنً يضبط ما يصدر عنه قولاً وعملاً بشكلٍ يتناسب تماماً مـــع إنســـانية الإنسان في التعامل مع نفسه أولاً ومع الغير ثانياً سواءً كان هذا الغير إنساناً أم حيواناً أم جماداً.

إذن العقل هو العين المتتبعة للحركة الداخلية للإنسان من زيادة في المعرفة أو التفاعلات أو التأثيرات الداخلية، كما أنه العين المراقبة للحركة الخارجية سواء صدرت من الإنسان نفسه أو من غيره عن طريق منافذ الحواس السليمة.

**مفهوم العقل عند علماء الشريعة:**

تعددت أقوال العلماء في حدِّه حتى يظن أن لكل واحد منهم مفهومه الخاص به، لهذا يضيق البحث بسردها لذا سأتخير منها ما يثري البحث.

**يقول الشيخ التهانوي**: "اعلم أن العقل الذي هو مناط التكاليف الشرعية، اختلف أهل الشرع في تفسيره، فقال الأشعري: هو العلم ببعض الضروريات الذي سميناه بالعقل بالملكة. وما قال القاضي هو العلم بوجوب الواجبات العقلية واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات ومجاري العائدات أي الضروريات التي يحكم بها بجريان العادة من أن الجبل لا ينقلب ذهباً، فلا يبعد أن يكون تفسيراً لما قال الأشعري، واحتج عليه بأن العقل ليس غير العلم وإلاّ يجاز تصور انفكاكهما وهو محال، إذ يمتنع أن يقال عاقل لا علم له أصلاً وعالمٌ لا عقل له أصلاً، وليس العقل العلم بالنظريات لأنه مشروط بالنظر والنظر مشروط بكمال العقل، فيكون العلم بالنظريات متأخراً عن العقل بمرتين، فلا يكون نفسه، فيكون العقل هو العلم بالضروريات وليس علماً بكلها فإن العاقل قد يفقد بعضها لفقد شرطه كما مر، فهو العلم ببعضها وهو المطلوب. وجوابه أنّا لا نسلّم أنه لو كان غير العقل جاز الانفكاك بينهما لجواز تلازمها. وقال الإمام الرازي: والظاهر أن العقل صفة غريزية يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وهي الحواس الظاهرة والباطنة، وإنما اعتبر قيد سلامة الآلات لأن النائم لم يزل عقله عنه وإن لم يكن عالماً حالة النوم لاختلال وقع في الآلات، وكذا الحال في اليقظان الذي لا يستحضر شيئاً من العلوم الضرورية لدهش ورد عليه، فظهر أن العقل ليس العلم بالضروريات. لا شك أن العاقل إذا كان سالماً عن الآفات المتعلقة كان مدركاً لبعض الضروريات قطعاً. فالعقل صفة غريزية يتبعها تلك العلوم، وهذا معنى ما قيل: قوة للنفس بها تتمكن من إدراك الحقائق. ومحل تلك القوة قيل الرأس، وقيل القلب، وما قيل هو الأثر الفائض على النفس من العقل الفعال "... وفي خلاصة السلوك قال أهل العلم : "العقل جوهر مضيء خلقه الله في الدماغ وجعل نوره في القلب، وقال أهل اللسان : العقل ما ينجي صاحبه من ملامة الدنيا وندامة العقبى، وقال حكيم : العقل حياة الروح والروح حياة الجسد. وقال حكيم : ركَّب الله في الملائكة العقل بلا شهوة وركَّب في البهائم الشهوة بلا عقل، وفي ابن آدم

كليهما. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم، وقال أهل المعرفة : العاقل من اتقى ربه وحاسب نفسه، وقيل مَـنْ يبصُـرُ مواضعَ خطواته قبل أن يضَعَها وقيل الذي ذهب دنياه لآخرته. وقيل الذي يتواضَع لمن فوقه ولا يحتقر لمن دونه ويمسكْ الفضلَ من منطقه ويخالطُ الناس باختلافهم. وقيل الذي يترك الدنيا قبل أنْ تتركه ويعَمّر القبرَ قبل أن يدخله وأرضى الله قبل أن يلقاه، وقيل إذا اجتمع للرجل العلم والعمل والأدب يسمى عاقلاً. وإذا علم و لم يعمل أو عمل بغير أدب أو عمل بأدب و لم يعلم لم يكن عاقلاً"[32].

يقول **السرخسي** في أصوله:"العقل نور في الصدر به يبصر القلب عنـد النظـر في الحجج بمنـزلة السراج، فإنه نور تبصر العين به عند النظر فترى ما يدرك في الحواس، لا أن السراج يوجب رؤية ذلك ولكنه يدل العين عند النظر عليه، فكذلك نـور الصـدر الذي هو العقل يدل القلب على معرفة ما هو غائب عن الحواس من غير أن يكون موجباً لذلك، بل القلب يدرك بالعقل"[33].

ويقول **الغزالي** في المنخول: "العقل هو صفة يتهيأ للمتصف بها درك العلوم والنظر في المعقولات"[34]. ونسمعه في مستصفاه يقول: "دليل العقل لا يقبل النسخ والبطلان"[35].

ويقول **الزركشي** في البحر المحيط: "العقل ضربان ثم هو ضربان غريزي وهو أصل، ومكتسب وهو فرع. فأما الغريزي: فهو الذي يتعلق به التكليف. وأما المكتسب : فهو الذي يؤدي إلى صحة الاجتهاد وقوة النظر، ويمتنع أن يتجرد المكتسب عن الغريـزي، ولا يمتنع أن يتجرد الغريزي عن المكتسب، لأن الغريزي أصل يصـح قيامـه بذاتـه؛ والمكتسب فرع لا يصح قيامه إلا بأصله"[36].

ويقول **المحاسبي**: "فالعقل غريزة جعلها الله عز وجل في الممتحنين من عباده أقام بـه على البالغين للحلم الحجّة. وأتاهم خاطب من قبل عقولهم، ووعد وتوعدّ، وأمر ونهـى وحضّ وندب"[37].

**وأعود لإحياء الغزالي** عندما قال تحت عنوان بيان حقيقة العقل وأقسامه ما نصـه: "اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته، وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسـم مطلقاً على معان مختلفة، فصار ذلك سبب اختلافه. والحق الكاشف للغطـاء فيـه: أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان، كما يطلق اسم العين مثلاً على معان عدة، وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد، بل يفرد كل قسم بالكشف عنه.

**فالأول** : الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده الحارث بـن أسـد المحاسبي حيث قال في حد العقل: إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نـور يقذف في القلب، به يستعد لإدراك الأشياء. و لم ينصف من أنكر هذا ورد العقـل إلى مجرد العلوم الضرورية. فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميّا عاقلين باعتبار وجود هـذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم. وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية، ولو جاز أن يسوى بين الإنسان والحمار في الغريزة والادراكات الحسية، فيقـال: لا فـرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوماً وليس يخلقها في الحمار والبهائم، لجاز أن يسوّي بين الحمار والجماد في الحياة، ويقال: لا فرق إلا أن الله عـز وجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة، فإنه لو قدر الحمار جمـاداً ميتاً لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيـه على الترتيب المشاهد، وكما وجب أن يقال: لم يكن مفارقته للجماد في الحركـات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل، وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصـور والألوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في صفات وهيئات بها استعدت للرؤية. فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية، ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نـور الشـمس إلى البصر، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة.

**الثاني**: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميـز بجـواز الجـائزات واستحالة المستحيلات: كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وإن الشخص الواحـد لا يكون في مكانين في وقت واحد، وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قـال في حـد العقل: إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. وهو أيضاً صحيح في نفسه، لأن هذه العلوم موجودة، وتسميتها عقلاً ظاهراً، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال: لا موجود إلا هذه العلوم.

**الثالث**: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن من حنّكتـه التجـارب وهذّبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً .

**الرابع** : أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً، من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة، وهذه أيضاً من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان. فالأول هو الأس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الأقرب إليه، والثالث فرع الأول والثاني، إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى فالأولان بالطبع، والآخيران بالاكتساب، ولذلك قال عليّ كرّم الله وجهه:

رأيت العقل عقلين فمطبوعٌ ومسموع
و لا ينفع مسموعٌ إذ لم يكُ مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع"[38] .

وعرفه الدكتور **يوسف العالم** بقوله: "العقل قوة في نفس الإنسان يستطيع عن طريقها إدراك العلوم، وتحصيل المعارف، وله عدة إطلاقات. ومعاني مختلفة عند العلماء والحكماء والعامة، والذي نقصده هو القوة الإدراكية التي تلي قوة الحواس وفي مجال يفوق مجال الحواس، ودون مجال الوحي الإلهي الذي يأتي عن طريق الرسل لهداية العقل الإنساني إلى سواء السبيل، ويجنبه الزلل والضلال ويخرجه من الظلمات إلى النور"[39] .

يقول **التفتازاني** : "أطلق الحكماء وغيرهم لفظ العقل على معان كثيرة، منها: الجوهر المجّرد في ذاته وفعله بمعنى أنه لا يكون جسماً ولا جسمانياً ولا تتوقف أفعاله على تعلقه بجسم، وهذا معنى الجوهر المجرّد الغير متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرّف، ولو قال: غير المتعلق بالجسم، لكان أنسب ليحرج النفوس الفلكية إذ البدن إنما يطلق على بنية الحيوان. وادعى الحكماء أن العقل بهذا المعنى أول ما صدر عن الواجب سبحانه، وإليه الإشارة بقولهصلّى الله عليه وسلم: "أول ما خلق الله تعالى العقل"، وإنما قال أدّعوا لأنهم استدلوا على ذلك بدلائل واهية مبنية على مقدمات فاسدة، مثل: أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد ونحو ذلك. ومنها : قوة للنفس الإنسانية بها يتمكن من إدراك الحقائق وهذا معنى الأثر الفائض عليها من العقل بالمعنى الأول. ومنها :مراتب قوى النفس على ما سنبينها. ومنها : الغريزة التي يلزمها العلم بالضروريات، أو نفس العلم بذلك، وهذا معنى العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات. ومنها: ملكة حاصلة بالتجارب يستنبط بها المصالح والأغراض وهذا معنى ما يحصل به الوقوف على العواقب. ومنها: قوة مميزة تبين الأمور الحسنة والقبيحة.ومنها: هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وكلامه، إلى غير ذلك من المعاني المتفاوتة والمقاربة،

فاحتج في هذا المقام إلى تفسير العقل، فقالوا: هو نورٌ يضيءُ به طريق، يبتدئ به حيث ينتهي إليه درك الحواس فتبدي المطلوب للقلب فيدركه القلب بتأمله وبتوفيق الله تعالى، ومعنى ذلك أنها قوة للنفس بها ينتقل من الضروريات إلى النظريات... (قوله: وقد يطلق العقل على قوى للنفس بها تكسب العلوم) إشارة إلى معنى آخر للعقل باعتباره يحصل للنفس مراتبها الأربع[40]. فعلى ما سبق كان حاصل معناه: حصول شرائط الوصول إلى المطلوب وانكشاف الحجب عنه بينه وبين المطالب، والتهدي إلى طريق التوصل إلى المقاصد"[41].

ويقول الدكتور **الجوزو**: "العقل هو أداة المعرفة أداة الفهم والإدراك واستنباط الحقائق الكونية"[42].

ويقول الدكتور **فضل الله** : "وكل ما حكم به العقل، حكم بها الشرع. "فالعقل رسولٌ في الباطن"، والشرع "عقل في الظاهر". فإذا أدرك العقل أن العدل حسنٌ والظلم قبيحٌ، حكم الشرع بأن العدل محبوبٌ لله والظلم مكروهٌ له ... يقول الغزالي: "فالشرع عقلٌ من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان، بل متحدان ولكون الشرع عقل من خارج، سلب الله تعالى اسم "العقل" عن الكافر في غير موضع من القرآن، نحو قوله: "**صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون**" ولكون العقل شرعاً من داخل،قال تعالى في صفة العقل: "**فطْرَةَ الله الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْديلَ لخَلْق الله ذَلكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**" فسمى العقل ديناً ولكونهما متحدين، قال: "**نورٌ على نور**" أي نور العَقل ونور الشرع. إن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لن يتبين إلا بالعقل. فالعقل كالأس والشرع كالبناء، ولن يغني أسٌّ ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أسٌّ. وأيضاً فالعقل البصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاعٌ من خارج، ولن يغني الشعاع ما لم يكن البصر"[43].

وها نحن نسمع **ابن رشد** يتحدث عن العلم الذي يستقبله العقل بالفعل وعن العقل المستفاد الذي يطبق به الإنسان ما تعلم، بقوله: "وينبغي أن تعلم أن مقصود الشرع إنما هو تعليم العلم الحق والعمل والشقاء الأخروي"، والعمل الحق هو امتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء والمعرفة بهذه الأفعال هي التي تسمى العلم العملي، وهذه تنقسم قسمين: أحدهما أفعالٌ ظاهرة بدنية، والعلم بهذه هو الذي يسمى الفقه، والقسم الثاني أفعال نفسانية مثل الشكر والصبر، وغير ذلك من الأخلاق التي دعا إليها الشرع أو نهى عنها. والعلم بهذه هو الذي يسمى (الزهد) وعلوم الآخرة وإلى هذا نحا أبو حامد في كتابه"[44].

لذلك نرى **الغزالي** يتحدث عن اكتساب العقل بالفعل ودوره في تلقي أدوية العبادة بحدودها ومقاديرها ولا يمكن أن تكون إلا عن طريق الأنبياء، وأن دور العقل ابتداء يكون بفهم أوامرهم فيقول: "الأنبياء – عليهم السلام – أطباء أمراض القلوب وإنما فائدة العقل وتصرفه، إن عرفنا ذلك، وشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعمى عن درك ما يدرك بعين النبوة، أخذ بأيدينا وسلمنا إليها تسليم العميان إلى القائدين، وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين. فإلى هاهنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك، إلا عن تفهم ما يلقيه الطبيب إليه"[45] .

بعض آراء العلماء ووالمفكرين والكتاب حول التوازن الفكري للأمة :

يقول الدكتور **سالم يفُوت**: "إن "ضرب مثلاً" هو أساس النشاط الذهني لدى الإنسان؛ كما أن الوقوف على التماثل والاختلاف، أعظم صفات العقل"[46] .

من هذا المنطلق سأذكر بعض أقوال رجال الدين الإسلامي ومفكريه، مع أقوال لغيرهم ذات صلة بالموضوع، أسردها بدون تعليق يذكر، إذ من خلال هذه النصوص المتوفرة بين يدي فقط، نرى عظمة آلية العمل الفكري والإبداعي للمسلم التي يستوحيها من القرآن والسنة، من هنا نخلص إلى وجوب توحيد الاتجاه الصحيح بين العقل والقلب ليصبح بناء الفرد والأمة أرسخ وأشمخ.

1- الإمام الغزالي:

يقول الإمام الغزالي تحت عنوان : مراتب العقل من الكتاب الإلهي ما نصه: "أعلم أن الله تعالى ذكر هذه المراتب في آية واحدة ، فقال: [**اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**] [النور: 25]. فالمشكاة مثل للعقل الهيولاني، فكما أن المشكاة مستعدة لأن يوضع فيها النور فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل، ثم إذا قويت أدنى قوة وحصلت لها مبادئ المعقولات فهي زجاجة، فإن بلغت درجة تتمكن من تحصيل المعقولات بالفكرة الصائبة فهي الشجرة لأن الشجرة ذات أفنان فكذلك الفكرة ذات فنون، فإذا كانت أقوى وبلغت درجة الملكة فإن حصل لها المعقولات بالحدس فهي الزيت فإن كانت أقوى من ذلك فيكاد زيتها يضيء، فإن حصل له المعقولات كأنه يشاهدها ويطالعها فهو المصباح. ثم إن حصلت له المعقولات فهو نور على نور؛ نور العقل المستفاد على نور العقل الفطري، ثم هذه الأنوار مستفادة من سبب هذه الأنوار

بالنسبة إليه، كالسراج بالمسبة إلى نار عظيمة طبقت الأرض. فتلك النار هـي العقـل العقال المفيد لأنوار المعقولات على الأنفس البشرية وإن جعلت الآية مثالاً للعقل النبوي فيجوز، لأنه مصباح يوقد من شجرة آمْرِيَّة مباركة بنيوية، زيتونة أمية لا شرقية طبيعيـة ولا غربية بشرية، يكاد زيتها يضيء ضوء الفطرة وإن لم تمسه نار الفكرة. نور من الأمر الرُّبوبي على نور من العقل النبوي. **(يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)**''[47].

**2- المفكر مالك بن نبي:**

''إن كان لا يليق بنا أن نعد القرآن كتاب علم فإننا نلاحظ فيه مع ذلـك آيـات تحتوي الاهتمامين كليهما : لمسها حقيقة علمية، وإلقاؤها بهذا اللمس مزيداً من الوضوح على علاقة الذات المحمدية بالظاهرة القرآنية''[48].

''حينما أحاول التخطيط لحضارة فليس عليّ أن أفكر في منتجاتها، وإنما في أشـياء ثلاثة، في الإنسان والتراب والوقت، فحينما أحل هذه المشاكل الثلاثة حلاً علمياً، بـأن ابني الإنسان بناء متكاملاً، واعتني بالتراب والزمن فإنني حينئذ قد كونت المجتمع الأفضل، كونت الحضارة التي هي الإطار الذي فيه تتم للفرد سعادته، لأنه يقدم لـه الضـمانات الكافية الاجتماعية''[49]. لذلك نسمعه يقول: ''فالإنسان لا تسعفه خصائصه، وإمكانياته الشخصية في تحقيق سعادته. وليس يعني هذا أنني أغض من قيمة هذه الخصائص.. فقـد سبق أن قلت إن ارتباط الفرد بالمجتمع هو الذي يحقق السعادة''[50].

'' لم يكن عمل النهضة الإسلامية طوال السنوات الخمسين الأخيرة، يمثـل تشـييداً، ولكن تكديساً للعتاد"[51].

''فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت. فهناك ملايـين السـواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تُستخدم في كل وقت؛ والمهـم هو أن نذير هذا الجهاز الهائل المكون من ملاين السواعد والعقول، في أحسـن ظروفـه الزمنية والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائها. وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان الذي تحركـه دفعه دينية"[52].

"كل ما سُلب العقل ميزاته، وفقد المقاييس التي تهديـه السـبيل،كانت الكـوارث السياسية على الأبواب، واستطاع الاستعمار أن يحقق أهدافه ضد الأوطان والأديـان، تحت شعارات مقدسة "إسلام" و "وطن"[53].

"على المربين في البلاد العربية والإسلامية أن يُعَلِّموا الشبيبة كيف تستطيع أن تكتشف طريقاً تتصدر فيه موكب الإنسانية، لا أن يعلموها كيف تواكب الروس أو الأمريكيين في طرائقهم، أو كيف تتبعهم ؟"[54].

ثم نراه يتكلم عن حالة المجتمع القلبية والعقلية انطلاقاً من الرؤية القرآنية للسنن الإلهية، بقوله: "الأدوار الثلاثة التي يمر بها المجتمع: الحالة الكاملة، فيها تكون جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة " الروح" ومتصلة بالاعتبارات ذات الطابع الميتافيزيقي. والمرحلة التالية هي المرحلة التي تكون فيها جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة "العقل" خاصة، ويتجه نحو المشكلات المادية، أما المرحلة الثالثة فتصور نهاية تحللها تحت سلطان "الغرائز" المتحررة من وصاية الروح والعقل، وفيها يصبح النشاط المشترك، ضارباً بأطنابه في أغوار الفوضى والاضطراب"[55].

و الآن نسمعه يقول: " القرآن يحث على أن يكون الكلام مع الخصم، موجهاً إلى ضميره حتى يصبح كأنه "ولي حميم"[56].

"إن الحوار هو أبسط صورة لتبادل الأفكار، وهو بذلك المرحلة التمهيدية البسيطة لكل عمل مشترك"[57].

"أوربا التي اعتقدت أن العناية قد اختارتها لتسودها مصائر الإنسانية، قد أخذت منذ عصر "بوكاشيو" – حين كانت حضارتها ترتضع في مهدها لبان حضارة العرب – تتنكر للحضارة الإسلامية تنكراً خالصاً سهلاً، وهاك ما قاله أحد الأوربيين في هذا الصدد وهو الدكتور "غوستاف لوبن"، فإنه حين أراد أن يختتم دراسته عن "الحضارة العربية" اختتمها بهذا التأمل الحزين: (لعل القارئ يتساءل: لماذا ينكر العلماء في هذه الظروف تأثير العرب، وقد كان أولى بهم أن يتنزهوا عن اعتبارات التفرقة الدينية ؟ الحق أن استقلال آراءنا وتجردها ظاهر أكثر من أن يكون واقعياً، وأننا لا نكون البتة أحراراً في تفكيرنا – كما ينبغي – حيال بعض الموضوعات، فلقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي يدين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون صحيحة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي)... هذا النص يوضح بصورة غير مباشرة، لكنها صريحة، موقف الحضارة الأوربية في وجه العالم الإسلامي منذ بداية التاريخ الاستعماري"[58].

"إن سبل التاريخ تمر بفكر البشر، وسيمر "التعايش" ضرورة بهذه السبل كيما يصير واقعاً تاريخياً. ومن اللازم ضرورة أن يمر بجميع المناطق، حيث الذكاء الإنساني على قدم

الاستعداد ليصوغ الإجابة على تحدي القوة، وسيساعده على ذلـــك، ريـــح التـــاريخ المواتية''[59].

''التحول لا يؤثر في عالم الأشياء، ولا في المعقولات التي تتضمنها عـــالم الأفكـــار بوصفه أنماطاً تطبيقية... ما لم يؤثر في محتوى النفوس ذاتها، طبقاً للآية الكريمة **[إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ]** [الرعد: 11]''[60].

هكذا بدا لي فكر هذا المفكر من خلال هذه النقولات، ولأتابع الآن ما عزمت عليه منذ البدء.

### 3- المفكّر محمد الغزالي :

في كتابه "كيف نتعامل مع القرآن" يقول: "إن الخلل العقلي في فهم القرآن، فهمـــاً عملياً كما توحي به الطبيعة السهلة التي لا تكلف فيها بين الناس، فقدناه من مدة طويلة! ويجب على المعاهد التي تكون الدعاة والتي تكون العلماء أن تستفيد الأمة من الورطة التي وقعت فيها... أما نحن فنكتفي من قوله تعالى: **[وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ]** [النحل: 16] بأن الله لفتنا إلى أن هناك علامات في الأرض والسماء! ولكن، ما هي؟ وماذا صنعنا مع هذه العلامات؟ وما هي الوسائل والمبتكرات التي طورناها في هذا الموضوع؟ إن غيرنا الآن يغزو الفضاء ويتخذ من غزو الفضاء منارات وعلامات لكـــي يســـخر الحضـــارة لـــه... أما نحن فوقوف! لابد من إحسان التعامل من القرآن"[61].

### 4- الدكتور يوسف القرضاوي:

يقول في كتابه "العقل والعلم في القرآن الكريم" ما نصه: "غطى العقل كل الجوانب: الكون علوية وسفلية، الإنسان بحاضره وماضيه، آيات الله الكونية والتنـــزيلية، فمـــن لم يستخدم عقله في هذه النواحي كلها، كان خليقاً ألا يهتدي إلى الحـــق، وأن يســـير في ركاب أهل الضلال والإضلال، وأن يقول مع أهل الشقاء في النار يوم القيامة ما حاكاه الله عنهم: **(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ. فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ)**[62].

"ليس بين العلم والإيمان – أو بين العلم والدين – صراع، كالذي عرفته أوربا فيمـــا سمي عندهم ''القرون الوسطى''، وإنما هنا إخاء بينهما، فالعلم يؤيد الإيمـــان، والإيمـــان يبارك العلم، فإن الحق لا يناقض الحق. وكما أقول أبداً: إن العلم عندنا دين، والـــدين عندنا علم"[63].

**5- الأستاذ جودت سعيد:**

سأسرد بعضاً من ومضات أفكاره في عدد من مؤلفاته، يقول : " في شباب العالم الإسلامي من عندهم استعداد لبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الإسلام ولكن قلّ من تجد فيهم من يتقدم ليبذل سنين من عمره ليقضيها في دراسة جادة، ليُنْضِجَ موضوعاً، أو يصل به إلى تجلية حقيقة"[64].

"الآفة التي نتحدث عنها الآن، وهي : عدم رؤية علاقة الطاقة الفكرية في الإنسان، بسنن الكون، وظن الفوضى، وعدم الخضوع للسنن، في أحداث الكون، وما دامت هذه العلاقة غير ثابتة، وغير موجودة، وغير معترف بها، فلا جدوى من إعمال العقل والفكر"[65].

"ينبغي البحث عن أبَوي القدرات أي عن الزوجين اللذين يردان القدرات وهما العقل وسنن الكون"[66].

"والاختلال الذي يصيب الثقافة يصيب عضواً معيناً ذا وظيفة خاصة، ويمكن أن نجد هذا العضو في الثقافة بوظيفة العلماء المجتهدين، اللذين يتمتعون بأداء وظيفة الاجتهاد في التخلص من الضار وقبول النافع، فإذا لم يوجد علماء أو لم يعد العلماء يقدرون على الاجتهاد المزدوج الوظيفة في القبول والرفض، فإن الأمة التي تفتقد مثل هذا الجهاز تصاب بالتمزق والهوان نتيجة احتفاظها بالأفكار الضارة وعدم قدرتها على تقبل الأفكار الضرورية لسلامة الحياة"[67].

"إن وظيفة العقل، هي ملاحظة ارتباط الأسباب بالنتائج وأنها ليست عقلية إنما مشاهدية وتسليمية اضطرارية، لا دخل للعقل فيها إلا التسليم والإقرار، وإن عدم التسليم بها بعد المشاهدة نفياً للعقل"[68].

"لا شك في أن الاجتياز عقبة المجتمع العالمي يحتاج إلى إحاطة بأرقى ما وصل إليه نمو الضمير العالمي وذكائه، أي : في أخلاقه وعلمه، وليس المراد معرفة ما وصل إليه فقط، لأن هذا لا يكفي زاداً من أجل التمكين من اختيار العقبة بل لابد من تحصيل أعلى وتطلع أسمى، يمكن معه كشف النقص والاستدراك الذي يبين بوضوح حاجة العالم إلى هذا الفهم الجديد"[69].

"كل لحظة يبذل فيها الفرد المسلم واجبه فإنه يسهم في بناء الحياة الإسلامية. كما أن الذل الذي يعيشه العالم الإسلامي متكون من أجزاء الهوان الذي يحمله كل شخص من المسلمين ومن الجهد اليومي والآني الذي يتخلف فيه المسلم عن أداء واجبه"[70].

### 6- الدكتور محمد عمارة :

يقول في كتابه "أزمة الفكر الإسلامي الحديث" : "إن "تحرير العقل" المسلم – كقضية من قضايا أزمة الفكر الإسلامي الحديث – يجب أن تفهم على أن تحرير من الجمود والتقليد الأعمى .. وتحريره من الغرور .. وتحريره من الهوى.. تحريره من الجمود والتقليد الأعمى للسلف، سواء أكان هذا السلف سلفنا نحن، أم سلف الحضارة الغربية .. فالجمود النصوصي آفة، سواء أكانت هذه النصوص من موروثنا نحن أم مستوردة عن "الآخر الحضاري"!.. والغرور العقلاني الذي يزعم أهله قدرة العقل على الاستقلال بإدراك أي شيء، إلى حد الذي يحكمون فيه "بالاستحالة" على كل ما لا تدركه عقولهم.. هو موقف أشبه ما يكون بعبث الطفولة – مع افتقاره إلى براءة الأطفال!؟..."[71].

### 7- الدكتور مصطفى محمود:

يقول تحت عنوان هل الدين أفيون الشعوب، ما نصه:" ليس أبعد من الخطأ القائل بأن الدين أفيون.. فالدين في حقيقته أعباء وتكاليف وتبعات وليس تحفظاً وتحللاً وبالتالي ليس مهرباً من المسؤوليات وليس أفيوناً. وديننا عمل وليس كسلاً. [**وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ**] [التوبة: 105] ونحن نقول بالتوكل وليس بالتواكل"[72].

"ارتفع صوت العقل حتى صار لجاجة وغروراً واعتداداً .. والعقل معذور في إسرافه إذ يرى نفسه واقفاً على هرم هائل من المنجزات وإذ يرى نفسه مانحاً للحضارة بما فيها من صناعة وكهرباء وصواريخ وطائرات وغواصات وإذ يرى نفسه قد اقتحم البر والجو والماء وما تحت الماء.. فتصور نفسه القادر على كل شيء وزج بنفسه في كل شيء وأقام نفسه حكماً على ما يعلم ومالا يعلم"[73].

### 8 – الأستاذ عبد الفتاح أبو زايدة :

يقول تحت عنوان التوجيه والأهداف: "النهضة بالفكر الإسلامي ليست عملية مستحيلة، حيث أن منهج التفكير واضح وضوحاً شديداً في القرآن الكريم، ويبقى الأمر رهيناً بالتمسك بكتاب الله والعمل على هديه والاستفادة العملية من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وإحياء الماضي الحي العربي الإسلامي، وأعتقد أننا إذا قمنا بهذه الأشياء مجتمعة نستطيع بها أن نبرهن على حيوية الفكر الإسلامي وعلى إيجابية العقل العربي عندما يتخذ المناهج العلمية وسائل في البحث والدراسة"[74].

**9- الأستاذ عبد الرزاق نوفل :**

عندما تحدث عن القرآن أشار إلى أنه: "نبه العقل لكي يبحث ويفكر في نفسه وفيما حوله، ويؤمن بالاستدلال من الأثر على المؤثر ومن الخلق على الخالق، ومن القدرة على القادر ومن الإبداع على المبدع"[75].

**10- الشيخ الركابي:**

يقول في كتابه "نقد العقل الإسلامي" : "إن الإسلام حركة من أجل الحياة لا يعرف الانغلاق ويستوعب التطوير المعرفي والأيديولوجي ولا يجد حرجاً في التعامل مع الأشياء بروح الانفتاح الروح التي تساهم في دعم المشروع الحضاري الإنساني... الإسلام لم ولن يؤمن بالطائفية والمذهبية الضيقة والأثنية العنصرية بل يؤمن بالإنسان كوحدة واحدة..."[76].

**11- الدكتور برهان غليون :**

يتحدث عن أساس النظرة العقلانية بقوله: "إن أساس النظرة العقلانية الحقة هو الكشف عن منطق الأمور وترابطها الداخلي، أي عقلها الذاتي، لا من منطلق منطق قياسي مجرد واحد يسوي بين مطالب المعرفة، ولكن من وجهة ترابط منهج كل معرفة مع مطلبها"[77].

**12- الأستاذ محمد حمزة :**

يتحدث عن انطلاقة المعتزلة العقلية في دفاعهم عن عقائد الإسلام مما يبين أصالة وجذور إعمال العقل في الإسلام، فيقول: "دخلت طوائف كثيرة إلى الإسلام من مجوس وصائبة ويهود ونصارى وكان منهم من يظهر الإسلام تقي ويبطن غيره. لذلك كانوا ينشرون بين المسلمين ما يفسد دينهم. ويشكك في عقائدهم. فتصدت المعتزلة للرد على هؤلاء بقوة وفلسفة لا تجارى. وكان لهم الفضل الأول في الدفاع عن عقائد الإسلام بالحجة والبرهان القاطع وكانوا يعتمدون في الاستدلال على العقل. وكانوا يحكمون العقل في كل شيء. ولا يحد ثقتهم بالعقل إلا احترام أوامر الشرع. من هنا نجحوا في إفحام الملحدين الذين لا يؤمنون بالدليل النقلي من كتاب أو سنة"[78].

**13- الدكتور عبد المجيد النجار:**

يقول تحت عنوان دور العقل في تنزيل الوحي" النص"، بشكل يربط بين النقل ولزام إعمال العقل للوصول إلى المقاصد: " وإذا كانت الأحكام الإلهية التي جاء بها النص

شرعت لتحقق مقاصد الله في إجراء أفعال الإنسان على ما يؤدي إلى مصلحته وهو جماع المقاصد، فإنه يتبين مدى ما أنيط بعهدة العقل من أهمية ودقة في تحقيق أفعال الإنسان تقديراً لأسبابها ومآلاتها، وتمييزاً للاختلاف والتشابه فيها، حتى يرجع كلاً منها وهي الكثيرة التي لا ينالها حصر إلا ما يناسبها من الحكم الكلي المجرد بما يحقق قصد الشارع في إسعاد الإنسان" [79].

**14- الدكتور عبد المجيد مزيان** :

ورد في مقالته حول: "مسؤولية المثقف المسلم" ما نصه: " إن مسؤولية المثقف المسلم اليوم تستوجب الشجاعة الفكرية وإيجاد الخطاب المقنع لتقديم الإسلام على حقيقته لا على الصور التي تأتي بها أحداث العنف والإرهاب وتلتقطها وسائل الإعلام لإشعال نيران الكراهة والتهويل بالخطر الإسلامي على الحضارة وعلى الإنسانية" [80].

**أما الآن لنتلمس الخطى الثابتة لمنهج الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في رسائله حيث يقول** :

" ومن الغرائب أن العقل الذي يتطاول إلى الإحاطة بالعالم والنفوذ إلى الخارج والخروج من دائرة الإمكان، يغرق في قطرة، ويفنى في ذرة، ويغيب في شعرة وينحصر الوجود عنده فيما فني فيه ويريد أن يدخل معه كل ما أحاط به في النقطة التي بلعته" [81].

"العقل عضو وآلة، إن لم تبعه – يا أخي – لله و لم تستعمله في سبيله، بل جعلته في سبيل الهوى والنفس فإنه يتحول إلى عضو مشؤوم مزعج وعاجز إذ يحملك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فيحذر عند إذ إلى درك آلة ضارة مشؤومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته وينغمس في اللهو أو السكر إنقاذاً لنفسه من ازعاجات عقله؟ ولكن إذا بيع العقل إلى الله واستعمل في سبيله ولأجله، فإنه يكون مفتاحاً رائعاً بحيث يفتح ما لم يعد من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء وكل موجود وكل حادثة. ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة مرشد رباني يهيئ صاحبه للسعادة الخالدة" [82].

وعند حديثه عن الإسلام يقول: "إنه يستشهد العقل وينبهه بإحالة كثير من الأمور – في القرآن الكريم – إلى العقل، ويحثه على التدبر والملاحظة. بقوله تعالى: (**أفلا يتفكرون... أفلا يتدبرون... أفلا يعقلون**) فيمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل

بهذا مقاماً رفيعاً باسم الدين ويوليهم أهمية خاصة، فلا يعزل العقل، ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم، ولا يطلب التقليد الأعمى"[83].

"إن الحياة هي خلاصة مترشحة من هذا الكون، والشعور والحس مترشحان من الحياة، فهما خلاصتها، والعقل مترشح من الشعور والحس، فهو خلاصة الشعور، والروح هي الجوهر الخالص الصافي للحياة، فهي ذاتها الثابتة المستقلة"[84]، ويقول: "عندما تهيج أحاسيس الإنسان لا ترضخ لموازين العقل، بل الهوى هو الذي يتحكم"[85].

"القلب الإنساني إذا انتزع منه الرأفة والرحمة والاحترام فإن العقل والذكاء يسيطران – عندئذ – على زمام الإنسان ويجعلان أولئك الناس كالوحوش الضارية والكلاب المسعورة"[86].

"فاعلم ! إن كلمة [ **يا أيها** ] في جملة " **يا أيها الناس اعبدوا** " قد أكثر التنزيل من ذكرها لنكت دقيقة ولطائف رقيقة، إذ هذا الخطاب مؤكد بوجوه ثلاثة: بما في "يا" من الإيقاظ، وما في " أيُّ " من التوسم، وما في "ها" من التنبيه – يا أيها – فالخطاب هنا رمز إلى فوائد ثلاث: مقابلة مشقة التكليف بلذة الخطاب.. وإنَّ ترقي الإنسان من حضيض الغَيْبَة إلى مقام الحضور إنما هو بواسطة العبادة، وأيضاً إشارة إلى أن المخاطب مكلف بجهات ثلاث: باعتبار قلبه بالتسليم والانقياد،ومن جهة عقله بالإيمان والتوحيد، وبالنظر إلى قالبه بالعمل والعبادة"[87].

وعندما يتحدث عن منهجية وحدة العقل والقلب ، يقول: " ثم أن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته .. إنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معاً وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلق إلى أوج العلا وتصل إلى مراد لا يصل إليها نظر الفلسفة المهاجمة فضلاً عن إقدامها وخطواتها، فتبين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة"[88].

" أقسم بالقرآن العظيم ذي الأسلوب الحكيم، أنه ما ألقى النصارى وأمثالهم في وديان الضلالة نافخاً فيهم الهوى إلاّ عزل العقل وطرد البرهان وتقليد الرهبان ..وما جعل الإسلام يتجلى دوماً، و تنكشف حقائقه وتنبسط بنسبة انبساط أفكار البشر إلاّ تأسّسه على الحقيقة وتقلده البرهان ومشاورته العقل واعتلاؤه عرش الحقيقة ومطابقته دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد ومحاكاته لها"[89].

" إن قلب الإنسان مثلما ينشر الحياة إلى أرجاء الجسد، فالعقدة الحياتية في الوجدان – وهي معرفة الله – تنشر الحياة إلى آمال الإنسان وميوله المتشعبة في مواهبه واستعداداته

غير المحدودة ... إذن فالوجدان يطل على الحقائق بذاتها من هاتين النافذتين، فيرى هيمنة النظام على العالم كله، والخالق الكريم ينشر نور معرفته ويبثها في وجدان كل إنسان من هاتين النافذتين .. فمهما أطبق العقل جفنه، ومهما أغمض عينيه، فالفطرة تراه وعيون الوجدان مفتحة دائماً، والقلب نافذة مفتوحة"[90].

كما يقول بديع الزمان مشيراً إلى اتفاق العقل والقلب في منع المرء من ارتكاب حد من الحدود، ضارباً المثل بالسرقة عندما يتذكر المقدم عليها القرآن الكريم، ما نصه: "وهكذا بتوالي التذكير هذا يزول ذلك الميل إلى السرقة، إذ الذي يهاجم ذلك الميل ليس الوهم والفكر وحدهما وإنما قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم دفعة واحدة ذلك الميل والهوى فبتذكر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زجرٌ سماوي ورادع وجداني فيسكتانه"[91].

"على الوعاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محققين ليتمكنوا من الإثبات والإقناع. وأن يكونوا أيضاً مدققين لئلا يفسدوا توازن الشريعة وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر وما عليهم أيضاً أن يرنوا الأمور بموازين الشريعة"[92].

إذاً إنّ المترتّب على الفرد بقدر تجليات أسماء الله الحسنى على لبه وسعة علمه أن يقوم بنشر كلمة التوحيد، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والإنسان تيقن بلُبِّه أن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ثم شهدت نفسه على هذا واختار بإرادة حرّة حمل الأمانة ليبلغ الرسالة ويعمر الكون، والدين الإسلامي دين عالمي لا يُحدّ بزمان أو مكان، لهذا كان الواجب على المسلم العاقل في سبيل تحقيق مفهوم الأمانة، واجباً حتميّاً عليه تحقيقه، من أجل أن يسعد الإنسان، ولأن الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان، يعلم ما وهب لمخلوقه من فطرة وعقل وهوى نفس وإرادة واختيار لما يبغيه بحرية مطلقة، يعلم الله عزّ وجل أيضاً أنه قد يتغلب هواه على فطرته بعد أن تتشوّه بمشوهات تحيط به؛ لهذا أرسل الرسل ليُبَيِّنوا له الحقَّ من الباطل، ويساعدوه بتَنْقيَة فطرته المشوهة ليُقَام انقلاب على الهوى؛ كي يغدو عقله سليماً وقلبه متصلاً بالله، يصبح اللبّ هو المُتَحكِّم بقيادة مسيرة الإنسان، هذا الانقلاب يقوم به الإنسان على نفسه دون أن تُراق قطرة دم واحدة أو يُسمع أزيز رصاص، يُحْكَم على موت الهوى وبَعْث الإيمان من جديد داخل كيان الإنسان، وهنا يمتثل المؤمن لتعاليم الله عزّ وجل ويتمثّل بها، يسعى لتحقيق السّعادة الحقيقيّة. ولأن الديانة ترفض الأنا والاستئثار لما هو خير للذّات فقط، علّمته الشّريعة سُبُل إسعاد الغير بطرق عِدَّة، مثل إرشاد الآخرين إلى مكامن الخير والسّعادة، وتحذيرهم

من مكامن الشّر والشّقاء، وإعانتهم على تحقيق ذلك، ونرى هذه الصّورة نَقيَّة واضحة تحت شعار تبليغ كلمة التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسّعي لتحقيق ذلك وتذليل العقبات التي تواجه السّير في هذا الطريق كُلٌّ على قدره. وحتى نتبين التوازن الثابت بين العقل والقلب من منطلق رسائل النور، لابد أن نتلمس مكانة العقل وعلاقته بالنقل في ضوء علم مقاصد الشريعة الإسلامية، والآن أتابع السير بهذا الطريق منطلقاً من منظور الشاطبي مرسخ أسس المقاصد.

**التبعية بين النقل والعقل:**

لم يلتفت الإمام الشاطبي إلى تعريف العقل بل ينشط قلمه في بيان القضايا المتعلقة به، وتنبع خصوصية هذا الموقف من الواقع المحيط به والذي عاشه لحظة بلحظة، والوظيفة التي اتخذها لنفسه من محاربة البدع والمبتدعين والشطط في تغليب العقل على النقل، ووضع العقل بموضعٍ يسيء لذات العقل، كما يسيء للنقل، إذ حاول أن ينصف كلاً منهما ويضعهما في موضعهما الصحيح، إذ يقول عندما تحدث في تمهيد المقدمات المحتاج إليها قبل النظر في مسائل الكتاب في المقدمة العاشرة : "إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعاً ويتأخر العقل فيكون تابعاً، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلاّ بقدر ما يسرحه النقل"[93].

من تصريحه هذا نراه يجعل الشرع محيطاً بالعقل غير مقيد له،يتحرك ضمن إطاره على ألا يخرق دائرته، وهذا أمرٌ أكيد فلا سبيل للعقل في الوصول للمعطيات إلا عن طريق الاستقراء التام للنقل، فما يتعلق بالثوابت والقطعيّات كمقادير العبادات وعلاماتها فهذا مما لا سبيل للعقل فيه، إنما يتلقاه العقل ليفهم لا ليجتهد ويتقول، وبذلك وضع الميزان الدقيق لما يجب أن نقدمه على الآخر النقل أم العقل. وما يتعلق بالظنيّات كأصول المعاملات وغيرها، مما تركه الشارع دون تحديد لحدوده حتى يتوافق مع مرور السنين مع كل عصرٍ. لذا مجال حركة العقل فيه رحبة يجوز البحث ضمن الحدود التي أباحها الشرع.

يقول الإمام الشاطبي : "الأدلة العقلية إذا استعملتْ في هذا العلم فإنما تستعمل مركبة على الأدلة السمعية، أو معينة في طريقها، أو محقّقة لمناطها، أو ما أشبه ذلك، لا مستقلة بالدلالة، لأن النظر فيها نظرة في أمر شرعي، والعقل ليس بشارع"[94].

هنا نجده يضع الميزان الدقيق لما يجب أن نقدمه على الآخر النقل أم العقل بشكلٍ يجمع بين المفاهيم المتغايرة من متعصبي كل طرفٍ بهذا الصدد، فلا نطلق العنان للعقل في

كل ما جاء به الشرع، ولا نضيق على العقل، كل ذلك بعد الإيمان بوحي السماء. أما قبل ذلك فدور العقل في التعرف على وحدانية الخالق الدور الرئيس، وبعد الوحي أو الإيمان فدور العقل الفهم والإدراك، كلّ على قدره واستطاعته، لذلك نرى لكل منهج علمي خواصه سواء أكان ذلك في العلوم الشرعية أم الإنسانية أم كان ذلك في العلوم الحسابية أم الطبيعية. لذا على الإنسان المؤمن أن يُعمل عقله ليفهم أولاً النصوص الشرعية وفق منهج علمي دقيق، وهذا ما يقرره الشاطبي في كتاب الأدلة الشرعية على الجملة[95].

والآن سأذكر قولاً **لبديع الزمان** ثم أتابع البحث، يقول : ''من الأصول المقررة : إذا تعارض النقل والعقل، يعد العقل أصلاً ويؤول النقل، ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلاً حقاً''[96].

قد يعتقد القارئ لقول العالمين أنهما متضاربين، ولكنه إن أمعن النظر يدرك أنه لا تضاد بينهما، إذ العقل الحق لن يخترق دائرة الشرع بل يسرح فيما سمح به النقل من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وإنما أصابا الهدف بأسلوبين متغايرين لطبيعة عصر الرجلين الجليلين، إذ لا يعقل أن يقصد الإمام بديع الزمان أن يجعل العقل مهيمناً متسلطاً على الشرع، تنطلق أحكامه تبعاً لما يريده العقل، كما لا يعقل أن يقصد الإمام الشاطبي تهميش العقل وإسقاطه من الحسبان، وهو الداعي لإعماله وتسريحه، فالعقل الحق هو الذي استمد نوره ابتداءً من النص الشرعي وإطاره، وهذه دعوة الشاطبي.

مما سبق أخلص للقول :

إن دور العقل بعد الإذعان لتعاليم الرسالة الحنيفة دور الفهم والإدراك فإن حصل ذلك يتبّين أمران :

1 - يوجد نصوص يتلقاها العقل بالتسليم المطلق وهي النصوص القطعية ثبوتاً ودلالة، وظيفة العقل فيها بعد الفهم .. الوصول لسبل تحقيق مقاصدها؛ لنعمل بها ونعلمها وفق ذلك.

2 - نصوص يتلقاها العقل ليُعملَ أدوات البحث فيها من خلال طرق معرفة المقاصد، هذه النصوص ذات الطابعَ الظني، ليجتهد العقل السليم المتخصص في الوصول لقطعية هذه النصوص حتى تدور الأحكام تبعاً لدوران مقاصدها فأخر الرسالات السماوية أتت للناس كافة على اختلاف أماكنهم وعادتهم وتوالي أيامهم إلى يوم يبعثون.

وعلى هذا نرى أن النقل و العقل متعاضدان لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر، فإن تخلف هذا عن صاحبه فنقع إما بالتفريط أو الإفراط. لذا عند الفصل بينهما نَجد إنساناً تنطبق عليه شروط التكليف إلا أنه هائم على وجهه لا يلتزم شرع الله، أو أننا سنرى مكلفاً

يَنْفَضُّ الناس من حوله لتشدد لا مسوغٌ لـــه يحسب نفسه قطاراً على ســـكة حديـــد، لذلك نسمع صوت الإسلام يعلو بالوسطية والسماحة.

**مكانة العقل في الفكر الإسلامي [97]** :

ليس من العبث أن يُعلّق الشرع شرط التكليف على العقل ويضع معياره سن البلوغ الشرعي، إنما العبث أن لا نضع العقل في مكانته الصحيحة، فإن وضعناه فوق ما يستحق بخثنا حقه وظللناه وحمّلناه مالا يطيق، وإن وضعناه بأقل مما يجب جُرْنا عليه وبخثنا حقـــه أيضاً، والله عزّ وجل يقول: [**ويلٌ للمطففين**] [المطففين: 1]، والتطفيف يكون بالزيادة أو النقصان، ليس للماديات فحسب بل للمعنويات أيضاً على السواء.

يقول بديع الزمان: " ... ثم أن ظهور أكثر الأنبياء في آسيا، وظهور أغلب الحكماء والفلاسفة في أوروبا، رمزٌ للقدر الإلهي وإشارة منه إلى أن الذي يـــوقظ أقـــوام آســـيا ويدفعهم إلى الرقي ويحقق إدامة إدارتهم هو الدين والقلب. أما الفلسفة والحكمة فينبغي أن تعاونا الدين والقلب لا أن تحلا محلهما"[98]. وهذا ابن حزم يقول: "من ادعـــى في العقل ما ليس فيه كمن أخرج منه ما فيه، ولا فرق"[99].

ولا أدلّ من اهتمام الشرع باللب من أن الله عزّ وجل ذكره في مواضع من القـــرآن بلغت الكثرة الكثيرة، إذ وجّه العباد لاستعماله، وذم المسيئين له لأنهم وضعوا الأهـــواء مكان الرياسة والعقل مكان التبعية، كما أنه ذم أهل القلوب المتعلقة بالترّهات المغلّفـــة بالشهوات، إلا أن المدح أتى لأُولي الألباب وهم الذين استخدموا عقلهم لبناء أنفســـهم وأسرهم ومجتمعهم، كما نَقّوا قلوبهم من المتعلقات بغير الله حـــتى أصـــبحت قلـــوبهم وأهواؤهم تبعاً للشريعة الحقّة فاتحدت العقول والقلوب في الاتجاه فغدت تبذل الخـــالص منها لكل صلاح وفلاح.

كما أنه ليس من المعقول أن يكون القرآن حاثّاً على بناء وإعمال العقول وســـلامة القلوب، والسنة المطهرة غافلة عن ذلك أو مجافية لـــه، إنما شُكّك بأحاديـــث العقـــل لظروف تاريخية وأيديولوجيات فكرية وسياسية، فنشأت عبر التاريخ جماعة سمّوا بالمعتزلة قيل أنهم غالوا في العقل حتى أنهم قدموه على الشرع، ووجدت جماعة أخـــرى وهـــم الأشاعرة قيل بأنهم وَصَمُوا العقل بعدم الإدراك إلا من خلال الشرع، وظهـــر جماعـــة وقفت موقف التوسط بينهما هم الماتريدية ذكروا بأن العقل يدرك قبل الشرع وبعـــده، ولكن ليس على الله عزّ وجل أن يوجب ما حسّنه العقل أو يَنهى عمّا قبّحه العقل.

وعند حديثنا عن مكانة اللب في الفكر الإسلامي من المنظور القرآني الماثل في رسائل النور، فإننا نشير بأيدينا إلى مصنع إنتاج أسس البناء الراسخ للأفراد والأسر والمجتمعات،

بل ننظر نحو أركان قيام حضارة فذة بكيفية بنائها لبنة لبنة حتى آخر لمسة جمالية فيها. فإن أردنا حصر الكلام في إشكالية انبثقت تبعاً لظروف تاريخية، فإننا بهذا نقزّم الحركة الفكرية الإسلامية النابعة من دعوة الشريعة لبعث عقل نفّاذ بنّاء يصنع الرجال، يتجه العقل مع النص كاتجاه السهم إلى مقصده.

ولأننا جميعاً نعلم أنه عند الحديث عن اللب يجب علينا ألا نغفل النص كما لا ينبغي علينا أن نغفل العقل عند تناولنا النص، أو نتناسى أحدهما ولأننا نعلم أن مصدر الفعل الماضي أو المضارع أو المستقبل لا يدّل على حدوث الفعل إنما يدل على وقوعه عند اقترانه بالزمن، فيجب علينا أن نَخلص إلى أن الله عزّ وجل عندما خاطب الإنسان توجه بخطابه بادئ ذي بدء إلى موضع التصور والحكم، وهو العقل، ولا يتم ذلك إلا بقيام فعل مرتبط بزمان، وهذا الفعل هو إعمال العقل – أي التفكير – وهذا دليل على أن التوصل إلى حكم وقرار لأمر ما يحتاج لزمن يقوم العقل خلاله بعملية التفكير بعد حدوث الفهم والإدراك، فهمٌ وإدراكٌ للنص وتصورٌ لمعناه وتفكّرٌ بمدلوله ومقصوده؛ ليتولد بعد ذلك فكر إسلامي بنّاء مستخلص من اندماج النص مع العقل، أي نور النص ونور إعمال العقل بالتفكر، يكون هذا الفكر نوراً لمن أراد الهداية وطريقاً ممهداً لمن أراد السعادة، في دنياه وفي أخراه، قال تعالى : [ **نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء**] [النور: 35].

لذلك لا نجاح للمسلمين اليوم إلا بالعقل المنوّر بالهداية القرآنية بفهم صحيح، وبإدراك تام لأبعاد النص، فإعمال العقل من المنطلق القرآني والنبوي ولّد لدينا عبر تاريخ الإسلام علوماً إسلامية مخترعة، وهذب علوم السابقين مقوّماً إياها وفق المنهج السماوي الصحيح، فاستطعنا بذلك النهوض والرقي والسمو، وجعل إنسان الصحراء الجلف الذي عاش قبل بزوغ نور الهداية القرآنية إنساناً متحضراً يصل بعد تربية لبه وتهذيب نفسه بأقل من ربع قرن إلى الصين شرقاً، والبرتغال وإسبانيا غرباً، وبلاد القوقاز شمالاً، وإفريقيا جنوباً، بُهرَ العالم بإنسانية هذا الإنسان وبكيفية الحفاظ على الحقوق رجلاً كان أم امرأة، طفلاً وليداً كان أم يافعاً، بَهَرَ العالم بحفاظه على البيئة ورعايته للحيوان ومحافظته حتى على الجماد فحرم هدم معابد الديانات الأخرى وممتلكاتها، وأعطى الحرية لأي إنسان، حرية الاعتقاد والمواطنة والتنقل بين البلدان والعمل فيها، مشجعاً كل أنواع الصناعات الخفيفة منها والثقيلة، كل ذلك مستمد من منبع وحي السماء الذي رقى بالعقل وسما بالقلب معا، وجعل من إلزامية التعلّم والتعليم لأفراد مجتمعه أساساً لأي خطوة انطلاق تقدمية.

كما أننا نرى أن العلماء العرب والمسلمين بحثوا في شتى العلوم، لكن ضمن إطار شرعي بتعبير آخر متمسكين بالنص للدلالة على ما وصلوا إليه أو اتبعوه أو أثبتوه، معتمدين حرية إعمال العقل والتفكير لأبعد مدى يسمح به الشرع. كان هذا السبيل هو المتبنى لدى السادة العلماء، لكننا قد نجد من بعضهم جانباً يطغى على جانب، حتى يخال للمرء في بعض الأحيان غياب الجناح الآخر لجسم البحث، مما أدى لوصم البعض بالجمود أو التحرر، كمن شدَّ الثوابت والمفاصل والمحاور حتى كاد لا يستطيع الحراك، أو سيّب الثوابت والمفاصل فبدت محاوره تسير بغير هدى.

نعم لقد شذ بعض من ينتسبون للعلم عن أصول البحث المنهجي وقواعد النظر العلمي المفيد للبُنْيَويّة العقلية السليمة، فكانوا هدامين لوحدة البناء الفكري والاجتماعي، فادعاء أن كل العلوم موجودة في النص القرآني بجزئياتها، أو أن القرآن نص شرعي ينظم علاقة الفرد مع ربه وحسب، كلام يفتقد للكثير من النقل والعقل للجانبين،صحيح أن النص الشرعي حدثنا عن العلوم الكونية والأرضية، لكنه تحدث عنها بالعموميات لافتاً نظرنا إلى ضرورة البحث فيها لنستفيد منها كما يجب. يقول بديع الزمان: "على المفكرين الذين غشيَهم ظلامٌ أن يدركوا الكلام الآتي : لا يتنور الفكر من دون ضياء القلب. فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء، فالفكر ظلامٌ دامس يتفجّر منه الظلم والجهل. فهو ظلام قد لبس لبوس النور (نور الفكر) زوراً و بهتاناً. ففي عينيك نهار لكنه بياض مظلم، وفيها سواد لكنه منور. فإن لم يكن فيها ذلك السواد المنور، فلا تكون تلك الشحمة عيناً، ولا تقدر على الرؤية. وهكذا، لا قيمة لبصر بلا بصيرة. فإن لم تكن سويداء القلب في فكرة بيضاء ناصعة، فحصيلة الدماغ لا تكون علماً ولا بصيرة. فلا عقل بدون قلب"[100].

عندما يقسم الخالق بخلقه يدل هذا على حثنا للبحث فيه بشكل يجعلنا نصل إلى أكبر فائدة لنستفيد منه، فعندما قال البارئ المصور: **[وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا]** [الشمس:1]، أراد منا أن نعي هذه الآية بوجهها العملي؛ لنبحث في كيفية الاستفادة من الطاقة الشمسية من قرون وقرون، لكننا فهمناها الفهم اللغوي ووقفنا عنده، كما لم يدرك المقصد المراد إدراكه كما يجب من قوله تعالى : **[قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى]** [الأعلى: 14 – 15]، لأننا لو أدركنا لعملنا من منطلق الآية بما يجعل الإنسان آمناً من شرور نفسه ومن غدر أخيه الإنسان على مدى العصور، لكنا نقرؤها تبركاً لا تصويباً للهوى المردي أو تطهيراً للنفس الأمارة، لتصبح نفساً مطمئنة والهوى تابعاً للتعاليم السماوية.

هذه مكانة اللب في الفكر الإسلامي مكانة مستمدة من قوله تعالى **[يَايَحْيَى خُـــذْ الْكِتَابَ بِقُوَّة ]** [مريم:12]، لنحصل على قوة في اليقين هذه القوة مرتبطة بقـــوة العقـــل والقَلب، بقوةً الإيمان، بقوة الجسد، بقوة الاقتصاد، وبتعبير آخر بقوة الألباب والماديات.

لكن السواد الأعظم من المعلمين قصروا في تربية المتعلم بقصد أو بغيره، ممـــا جعـــل نهوض عقله وإزالة الران عن قلبه ثم التوازن بينهما، ينحدر لهاوية أوصلت الأمة للضياع والتفكك والافتراق بالفكر والتوجه. فغدا المجتمع المسلم ولو في رقعة ضـــيقة صـــاحب توجهات عدة وهيكلية متشعبة، تنمو على زرعه طُفيليات وعوالق لكثرتها بدت للمـــرء أنها الأصل.

وهكذا سار الحال إلى وقتنا الحاضر، لكننا اليوم نسمع بعض الأصوات وكأنها آتيـــة من الغياهب، أصوات خافتة باهتة تدعو للنهوض وإعمال العقل وبناء لـــب الإنســـان، تحتاج هذه الأصوات لمن يصغي إليها ويمتثل للحق فيها، تحتاج هذه الأصوات والأقـــلام لقراءة متأنية ولغة خطاب مفهومة، لتنهض بالعقول التي مورس عليها تجهيل قهري مـــن المعلم أولاً ومن المنهج ثانياً ومن الإطار المحيط ثالثاً، تحتاج هذه العقول والقلوب لخطوات مدروسة تقتلع جذور تخلف العقل وتكسر الران المتكلس على القلب؛ ليسمو جيل بعد جيل حتى تشمخ الأمة وتترسخ العلوم كل العلوم في النفوس فنســـمع بانصـــهار كـــل الاختصاصات العلمية المحضة مع الفكر السماوي بمفهومه الصحيح.

وهنا تتبلور الرؤية المقاصدية في الحوار إذ أن من مقاصد الشارع ابتداء، تأسس الفرد على عقيدة سليمة دالة على الخالق، سبيلها الأدلة القطعية العقلية، التي وعاها من أُرسل بالرسالات وآمن من الأتباع، ليبثوها لمُرَجْرَج أو مُزَلْزَل أو مُهَدّم، محاورين ذائدين عـــن الحق، وفي هذا المنحى يقول الشاطبي: "قيض الله ناساً يناضلون عن دينه ويدفعون الشبه ببراهينه فنظروا في ملكوت السموات والأرض، واستعملوا الأفكار، وأذهبوا عن أنفسهم ما يشغلهم عن ذلك ليلاً ونهاراً، واتخذوا الخلوة أنيساً وفازوا بربهم جليساً، حتى نظـــروا إلى عجائب صنع الله في سماواته وأرضه، وهم العارفون من خلقهم والواقفون مـــن أداء حقه، فإن عارض الدين الإسلام مُعارِض أو جادل فيه خصم مناقض، غبّروا في وجـــه شبهاته بالأدلة القاطعة. فهم جند الإسلام وحماة الدين"[101].

لذا نرى موقف الشريعة عموماً مما يُذهب العقل و يُغيبّه أو يطلي القلـــب بـــالران ويغلّفه، نراه موقفاً رافضاً محرماً لكل مخامر، والمقاصد خصوصاً تحارب كل ما يجرجـــر الفرد ويزحزحه من الفضيلة إلى الرذيلة، إذ أن المقاصد الشرعية لا تـــرفض المـــرض أو الوقوع فيه فقط، بل ترفض كل ما يؤدي إليه وتأخذ دور المعـــالج وتقـــدم العـــلاج،

فالمقاصد تطلب بناء الفرد البناء السليم وتدلل على طريقة ذلك، وتبين المسلك الواضح المُمَهِّد الذي يبني الفرد والأسرة والمجتمع، تبدأ من الإنسان ببعث الإنسانية فيه، حتى يبني العلاقة المتينة مع خالقه، مطوِّعاً غرائزه الهائجة مروضاً لها محققاً إياها بطريق شرعي سليم، ثم تنتقل المقاصد لتنشئ خلية جديدة في المجتمع ينتج أبناءً يتمتعون بالصحة النفسية والقلبية والعقلية، بعد ذلك نجد هذا الفرد المربى تربية مقاصدية، نجده لبنة ذات أسس في مجتمعه يقيِّم المعوجّ ويرقى على أساس متين.

إذن المقاصد الشرعية ترفض كل ما يهدم اللب المفكر، تحارب سبب المرض وتقضي عليه مهما حَقُر أو عَظُم مسبب المرض، لتعالج المرضى بعد ذلك، فتنقلهم من سقم لفترة نقاهة ثم لمعافاة في اللّبّ والنفس والجسد، تبدل الوهن والضعف بقوة راسخة شامخة.

يقول بديع الزمان :"إن النفس الإنسانية تُفضّل درهماً من اللذة الحاضرة المعجّلة على رطل من اللذة الغائبة المؤجّلة، وهي تتحاشى صفعةً حاضرة أكثر من تحاشيها سنة من عذاب في المستقبل. وعندما تهيج أحاسيس الإنسان لا ترضخ لموازين العقل، بل الهوى هو الذي يتحكّم، فيرجّح عندئذ لذةً حاضرةً ضئيلةً جداً على ثواب عظيم في العقبى، ويتجنب ضيقاً جزئياً حاضراً أكثر من تجنبه عذاباً أليماً مؤجلاً. ولما كانت الدوافع النفسية لا ترى المستقبل بل قد تنكره، وإن كان هناك حثّاً لها من النفس وعوناً، فإن القلب والعقل اللذين هما محل الإيمان، يسكتان، فيُغلبان على أمرهما. فلا يكون عندئذ ارتكاب الكبائر ناتجاً من عدم الإيمان، بل غلبة الهوى وسيطرة الوهم والحسّ المادي، وانهزام العقل والقلب وغَلَبة كل أولئك عليهما"[102].

وقد يعتقد المرء أن الوسائل المادية هي فقط الخمر والمخدرات التي تهدم اللب، ولكن في الحقيقة هناك وسائل مادية أخرى لا تقل خطورة عن الوسائل المحسوسة باليد مباشرة، وسأستدل ببعض من أي الذكر الحكيم:

1 – قال تعالى: [ **أرأيت من اتخذ إلهَهَ هواه، فأنت تكون عليه وكيلا ✐ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ✐ إن هم إلا كالأنعام بل هُم أَضَلُّ سبيلا**] [الفرقان: 43–44].

2 – قال عزّ وجل: [**وهو الذي أنشأ جنّات مَعْروشات وغير مَعْروشات والنَّخْل والزَّرْعَ مختلفاً أُكُلهُ والزَّيتون والرُّمان متشابهاً وغير مُتَشابه كُلُوا من ثَمره إذا أثْمَرَ ✐ وآتو حَقَّهُ يومَ حَصاده ولا تُسرفوا إنّهُ لا يُحبُّ المسرفين**] [الأنعام: 141].

3 – وقوله عزّ وَجل: [**يا بني آدم خُذُواَ زينتكم عِندَ كُلِّ مسجدٍ وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنّهُ لا يُحبُّ المسرفين**] [الأعراف: 31].

آيات بينات محكمات تدل على المراد دلالة قطعية، **[أرأيت من اتخذ إلهه هواه]** هذا الذي هو أضل من الأنعام سبيلا، غيّب العقل تغيباً كاملاً بدون مخدر يتناوله أو مسكر يشربه، إنما أجرى عملية انقلاب داخلي أدت لدمار إنسانيته، الله عزّ وجل وضع العقل موضع القيادة والرئاسة حتى يصل المرء به إلى الهداية، يهتدي بهذا العقل أولاً إلى موجد الوجود، ثم ينقاد هذا العقل بعد الإيمان لما أوحت به السماء عن طريق الأنبياء، مدركاً للنص فاهماً لأبعاده متفكراً فيه، مستنبطاً من مقاصده أحكاماً استجدت لحوادث حصلت، عوضاً عن هذا أقدم على تغييب العقل وترك زمام الأمور لرغباته، يشير عليه موسوسُ من الإنس أو الجن يقوده قود النعاج، مُغْلقاً لأذن الرحمن مُقبلاً لما وهبه الله عندما حمل الأمانة – العقل – وكأنه منح أداة التفكير السليم استقالة مفتوحة، أو وضعه في غياهب سجن دامس، نرى هذا المتعدي على إنسانية الإنسان يرتكب الآثام ويقترف الذنوب، يقوم بما هو محرم من الأعمال من زني وأكل الأموال بغير حق عن طريق كسب غير مشروع، ويبغي ويقتل، يُعمل لسانه فيما حُرِّم من القول كاللغو والغيبة والنميمة والكذب، وحَلفْ الأيمان الكاذبة وشهادة الزور وكتم شهادة الحق، والهمز واللمز والسخرية واللَيّ والنجوى بالإثم، يحلل ويحرم كيفما يشاء، يطلي قلبه بران ثخين سميك حاجباً إيّاه عن كل مصدر نور رباني. أهذا الإنسان يعقل صالحه في دنياه أو في أخراه؟ كيف يعقل وقد اغتال العقل السليم فيه؟.

إنسان كهذا أضلّ من الأنعام ومن مستحقرات الحشرات، إذ هذه المخلوقات وإن منحت إلهاماً تسعى به لإملاء بطنها وتكاثرها ورعاية صغارها، إلا أنها تذكر ربها وتعرف سبل عبادتها، قال عز من قائل: [ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا]** [الإسراء:44]، وهذا الإنسان همّه طعامه وشرابه ولباسه وفرجه ناسياً أو متناسياً خالقه وشرعه، أليس أضلّ من الحيوان وحتى من الجماد؟ نعم هو أقل شأناً منها، ولكن الله عزّ وجل يقول عن نفسه إنه حليم وغفور، يمد للمخطئ يد المغفرة عله يتوب.

قوله تعالى: [ **ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين]**.

نزل الشرع لحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، دالاً على تحقيق ذلك بكل السبل الممكنة مذكراً إيانا بقوله عزّ وجل : [ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ]** [البقرة:201]، حسنة الدنيا هي لبناء الروح والجسد، العقل والقلب، النفس والهوى، المال والولد، لإعمار الأرض كل ذلك بما يوافق الشرع، وحسنة الآخرة الفوز بالمغفرة ورؤية وجهه تعالى أيّاً كانت هذه الرؤية على اختلاف

أقوال المفسرين فيها، [ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ] [القيامة: 22-23]، ثم الدخول لجنّة عرضها السماوات والأرض.

أما عندما يتوجه الإنسان كما قال عزّ وجل : [ **فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ** ] [البقرة:200]. أي ليس لهم خير في الآخرة، هؤلاء الناس توجهوا لدنياهم بكليتهم همهم غرائزهم وطعامهم وشرابهم وملبسهم، مبذرين مسرفين، يضعون أموالهم في غير موضعها، وينزلون عقولهم في غير منازلها، ومن يفعل ذلك ألا يُعَدُّ ممن غيّبُوا عقولهم وخامروها عن موائد العلم، أين عقل من فقد حب الله له؟ أين عقل من سعى لبغض الله له؟ هؤلاء الناس يقولون بلسانهم ربنا وفي قلوبهم دُنيانا، مَلَك حُبُّ الدنيا وزُخْرفها العقول منهم والقلوب، نسوا الله فأنساهم الله أنفسهم، يتكالبون ويتناطحون على دنيا فانية.

نعم يعتبر هذا التوجه شبيهاً للخمر والمخدر في إذهاب العقل، لذا علينا أن نتيقظ من غفوتنا وأن نصحوَ على أنفسنا لنضع موازين الحق وننزل العقول منازلها، وإلا القهقرة مصيرنا، دنيا وآخرة.

إن ذرياتنا أمانة في أعناقنا إن أسأنا اختيار السَّكَنَ من الزوج ضيّعناهم منذ ولادتهم حتى كهولتهم، فما هم بارون لنا حين يكبرون، لأننا عققناهم قبل أن يَهلّوا، عققناهم في اختيار أب أو أم، ثم عققناهم بسوء تربية ومعشر وتنشئة، شَوَّهنا عقولهم ونفوسهم وفطرهم، فانحرفت أفكارهم وسلوكياتهم يوالون من حاد الله ورسوله، يتبعون خطا الشيطان، بعد ذلك نقول نريد جيلاً حامياً للدين والوطن، مرابطاً على حدود الدولة، مدافعاً عن مصالح الأمّة، غيوراً على المال والعرض والدين، هيهات هيهات أن ينتج الشوك ورداً وينجب القرد بشراً، فإذا أردنا جيلاً صالحاً فلنرب آباءهم وأمهاتهم، لنربي الجيل الناشئ على الأسس الصحيحة والتعاليم السامية المرسلة من السماء، فشباب اليوم آباء الغد وبناة الوطن، فبقدر رعايتنا له وحرصنا على بثّه الفكر القويم والسلوك السليم من خلال تربية إيمانية صحيحة، بقدر ما نربح جيلاً بناءً غيوراً على مصالح الأمة والوطن والدولة، فصناعة الرجال من أصعب وأعقد الصناعات على مر العصور.

**سؤال يطرح نفسه : ما هو ميزان الانحراف للعقل والقلب وفقدان التوازن بينهما؟**

يقول بديع الزمان : " نعم إن السموَّ والرقي الحقيقي إنما هو بتوجيه القلب، والسر، والروح، والعقل، وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان، إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كلٍّ منها بما يخصّها ويناسبها من وظائف العبودية. أما ما بتوهمه أهلُ الضلالة

من الانغماس في تفاهات الحياة والتلذّذ بملذاتها الهابطة والانكباب على جزئيات لــذاتها الفانية دون الالتفات إلى جمال الكليات ولذائذها الباقية الخالدة مسخرين القلب والعقل وسائر اللطائف الإنسانية تحت إمرة النفس الأمارة بالسوء وتسييرها جميعاً لخدمتها، فإنّ هذا لا يعني رقياً قط، بل هو سقوطٌ وهبوط وانحطاط" [103]. ويقول أيضاً: "تُلقي لَمّــةُ الشيطان — التي هي على القلب — كلاماً لا يليق بجلال الله سبحانه وتعــالى. فــيظن صاحبه أن قلبه هو الذي فَسَد فصدر عنه هذا الكلام، فيضطرب ويتــألم. والحــال أن اضطرابه وخوفه وعدم رضاه دليلٌ على أن تلك الكلمات لم تكن صادرة من قلبه، وإنما هي من اللمّة الشيطانية، أو أن الشيطان يخيّلها إليه ويذكّره بها" [104].

أقول : إن الميزان لأي انحراف مقياسه التعاليم الشرعية المستمدة من القرآن والســنة بمفهومهما الصحيح. مثلاً : أركان الإيمان والإسلام معروفة لا خلاف عليها من حيــث هي ثوابت، فالذي يقول بلسانه أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهــذه الكلمة لم تمس قلبه فهو انحراف عن المقصد الحقيقي لكلمة الحق هذه، إذ أننا نجد قلبــه يقول مالا ينطق به لسانه، يتبين لنا هذا عندما نرى أن تصرفاته تقول بأن الهــوى هــو موجهه الأول، إذاً كيف يقول المرء لا إله إلا الله، ويقتحم محارمه ولا يؤدي أوامره، ولا يريد أحد أن يقول إن هذا ليس انحرافا عن تعاليم الشرع، نشاهد المرء يصلي وصــلاته هذه يجب أن تحقق النتيجة المرجوة منها وهي الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، وبسبب أنه لم يحقق المقصد من الصلاة أثناء تأديتها وهي صلته بالله وذكره إيّاه خلالها؛ لا ينتهي عما نُهِيَ عنه. أليس هذا انحرافاً عن المقصد من الصلاة؟ وهكذا باقي العبادات وفي العــادات والمعاملات سواءً كانت مادية أو غيرها، لا يحقق العدل وهو أدنى درجات التعامل فيما بين الناس، أليس هذا انحرافاً؟ ينتفي فيه العدل مع نفسه، إذ يظلمها إن لم يُقِم حدود الله عندها، وتكون نتيجة ما اقترفت يداه أن يُكَبَّ على وجهه في عذاب الحريق. يُسْــقط العدل مع الغير بسوء استقباله، وببخله على ضيفه، وبالغيبة والنميمة، وبالكذب واللغو، بالهمز واللمز وغير ذلك كثير، فإن كان المرء يبني فكره على أساس الأنا، ويطبعّ سلوكه على ركيزة الهوى، ألا يعدّ هذا انحرافاً؟ فأي سلوك ينافي الأخلاق القويمة هو انحــراف، وأي فكر يزحزح صاحبه عن الحق والصواب هو انحراف. غيــاب الفهــم الصــحيح للنصوص وفقدان المربي المعلم الوارث لعلوم النبوة والرسالة، سببٌ قوي مــن أســباب الانحطاط الفكري والسلوكي. وفي هذا الصدد أودّ أن أَعزو انَحراف الشباب إلى النقاط التالية:

1 – فقدان المعلم المربي وندرة المربي المعلم، مما أدى إلى ضعف التشبث بوحي السماء وانعدامه عند الكثيرين، وبالتالي فقدان أسس بناء الأسرة المتربية تربية إيمانية، ممّا أوجد طفلاً ضائعاً مُتَشَرِّدَ العقل والهوية والمبدأ حتى أصبح شاباً، وهنا يصدق قول الله عزّ وجل عليه : [ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**] [المنافقون: 4].

2 – سهولة تناول اليد لكلّ هدّام من كتب وأفلام بأسعار زهيدة أو مجانية، وفي المقابل ارتفاع ثمن الكتب القيّمة بشكل يُثقل كاهل الفرد المحدود الدخل،فلا يقدر أن ينمّي فكراً بناءً وعقلاً حكيماً وقلباً سليماً.

3 – تفشي اللامبالاة في تربية الأفراد عند ذويهم والمسؤولين عنهم في الأسر والمؤسسات، إلا ضمن حدود ضيقة، بالإضافة إلى شيوع الأفلام المتحركة للأطفال ذات الطابع الغرائزي أو الإجرامي أو الخيالي المفرط، مما يؤدي تشويه ميولهم واهتماماتهم وتعلقهم بمحقرات الأمور.

4 – التفنن في اغتيال الوقت وإضاعته بالترهات بأسماء متعددة كتنمية المواهب، أو جذب المشاهد للشاشة الصغيرة التي تعرض ما هبَّ ودبَّ، مما ينتج أفكاراً هدامة موجهة من كلّ هادم في الخارج أو الداخل سواءً كان هذا عن طريق الكلمة المسموعة أو المقروءة، أو المشاهدة.

5 – سهولة الحصول على ما يذّهب العقل من كل ما هو مادي كالمُسْكِر والمخِّدر، أو معنوي كشيوع الأغاني المسفة بالأخلاق والمحركة لكوامن المشاعر والغرائز، وجعل ذويها مضرب المثل الأعلى للشّبان والفتيات عن طريق قوة الدعاية والانتشار السريع، مما يسهل الانحلال الأخلاقي والجنسي، بل تفشي تجارة الدعارة ودواعي التفسخ بجميع أنواعه واتجاهاته.

6 – المتاجرة باسم الحرية لدفع الإنسان إلى الفردية والانسلاخ عن مضمون الأسرة الجامعة، فوقوع المرء في شباك الأنا والهوى، والشعور بالانتماء الحقيقي للدين والوطن والدولة والملّة، بسبب افتقاد النهج الصحيح، مما يُنْتج رفضاً لتحمل المسؤولية، والانفلات والتسيّب وعدم ضبط السلوك.

7 – عدم واقعية الآمال والأهداف، مع وجود عوائق وصعوبات في تحقيق المراد من الحد المطلوب للعيش بكرامة وشرف، مع الشعور بأن هذا من المستحيلات، مما أدى إلى ارتباط الآمال بالسفر والهجرة لتحقيق الذات، لضعف نيل الفرص على أساس الكفاءات،

وعند سفرهم يبهرهم تقدم الآلة ويسحقهم تخلف القيم الإنسانية، مما يفقدهم التـــوازن بين الموروث والدخيل، فيغدون إما متعصبين أو متسيّبين منحلين.

وخلاصة ما سبق ذكره أقول: إن المقاصد الشرعية حثت على بناء العقل بناءً متراصاً سليماً عن طريق التعلم والحوار للوصول إلى قناعة، يسير المرء من خلالها يـــبني نفســـه ومجتمعه، بل يبني للإنسانية جمعاء، وحرّمت المقاصد الشرعية السعي لهدم أو بثّ كلّ ما يُحْرِف الإنسان عن جادة الصواب، بل دعت لتقويم الانحراف أيّاً كان نوعه من أجـــل صحة الإنسان من الداخل والخارج،صحة النفس والجسد، صحة القلب والعقل، صحة الفرد والأسرة والمجتمع، قال تعالى: {**وَقُلْ اعْمَلُــوا فَسَــيَرَى الله عَمَلَكُــمْ وَرَسُــولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**} [ التوبـــة: 105]. فمن سلك سبيل إعمال العقل ليصل إلى بناء لب سليم وجسم قوي وروح متصلة بالله، بمعني أنه يبني بداخله إنسان يحقق إنسانية الإنسان وســـعادته الحقيقيـــة العاجلـــة والآجله؛ نعم إنسانٌ هذا حاله سيرفع أي أذى مما استصغر عن نفسه وعن غيره مخلصاً لله في ذلك، ورفع الأذى هذا يدل على إعمال العقل والتمييز بما هو ضرر عما هو نـــافع، فإن لم يسلك الإنسان سبيل ربه فسيجلب الأذى لنفسه أولاً ثم لغيره ثانياً، علـــى أقـــل تقدير سيؤذي من هم مسؤول عنهم بعدم إرشادهم للحق، أو أنه سيؤذي إطاره بجهلـــه وعدم نصحه وكف عونه للآخرين وإسماعهم ما لا يجب أن يســـمعوه. يقـــول بـــديع الزمان: " فالقلب المظلم الخالي من الرحمة يرى الكائنات باكية قبيحة تتمزق بين مخالب الظلم وتتقلب في خضم الظلمات. بينما لو أبصرها ببصر الإيمان يجدها علـــى صـــورة إنسان كبير متسربل بسبعين ألف حلة قشيبة مخيطة بالرحمات والخيرات والحكم، بعضها فوق بعض كأنها حورية من الجنة لبست سبعين حلّة من حللها. ويجدها باسمـــة دومـــاً بالرحمة ضاحكة مستبشرة. ويشاهد نوع الإنسان الذي فيه كوناً مصغراً، وكل إنســـان عالماً أصغر، فيقول من أعماق قلبه وروحه: [ **الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**]"[105].

يوجد آيات وأحاديث تبلغ الكثرة الكثيرة، تدل على وجوب بناء اللب والحفاظ عليه دون أن تتلفظ بذلك، لكن يجب علينا أن نعمل عقولنا لنفهم شرعنا، لنَفْهَم ونُفْهِـــم أن آخر الرسالات السماوية حثت على بناء الفرد وحضارته وعلومه بشتى ميادينها، نُعرّف المسلم وغير المسلم أن تعاليم الإسلام صالحة لكل زمان ومكان،نبيِّن له أنها أَقوم طريـــق يسلكه إنسان يهدف إلى أن يحيى بسلام مع نفسه وربه ومجتمعه.

**الطرق السّليمة لتربية اللبّ في الإسلام :**

**تمهيد :**

كتب الفقه وأصوله تتحدث عن العقل كموقع لأهلية التكليف، وبقية كتب علوم الشريعة التخصصية تتناول موضوع العقل عرضاً على الغالب في كلامها، ومن يتطرق لموضوع التربية يتوجه إما إلى التربية الإيمانية أو النفسية أو الجسدية، أما تربية العقل فالحديث عنها وصفي في الكثير الغالب، وما أريد بحثه الآن المنهجية العلمية الواجب إتباعها- كما أرى – لبناء عقل مربى ومزكى إيمانياً نربي العقل قبل تكوينه وأثنائه وبعده، نعده لأن يكون تربة صالحة لبذرة الإيمان؛ كي تزرع هذه البذرة وترعى الرعاية اللازمة؛ لينتج هذا العقل المؤمن المتحد مع القلب المستقبل لنور الله تعالى؛ كي ينتج هذا اللب بصائر الفكر الإسلامي الوضاءة المستنيرة بنور تعاليم الله تعالى وسنة رسوله المصطفى صلّى الله عليه وسلم .

لكن إن أُهمل بناء الإنسان عموماً وبناء اللب خصوصاً، عندها نجد قلباً مغلفاً بالرّان وعقلاً خبيثاً ماكراً، سنواجه حينها حيواناً مفترساً بقالب آدمي، يقوده هوى شيطانيّ وعقل تابع ذليل للغرائز، القلب أقسى من الحجر يتناغم ويتوافق مع هوى ذي عقل دوني، قال تعالى: **"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ"** [البقرة: 74] .

لهذا إن أردنا أن نرى الإنسانية في الإنسان ونزحزح حيوانيته ونغنيها ونحقق سعادته التامة، علينا تربية عقله من منبع مقاصدي على يد عارف بالله عالم بمقاصده ومقاصد شرعه، عند ذلك ينقاد هذا العقل المربى إيمانياً ومقاصدياً للحق والحقيقة، يُبدع بالفهم والإدراك والاستنباط والاجتهاد.

**الطرق السّليمة لتربية اللب وفق مقاصد الشّريعة :**

يقول الله عزّ وجل :" **الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ"** [ البقرة: 1-5 ].

المَتبصر بالآيات يجد أربع ارتكازات لها وهي:

**أولاً**: أن القرآن الكريم حق لا لبس ولا شك ولا تعارض ولا اضطراب فيه، بل تدبر وإعمال للعقل يوصل إلى البُغْية والمقصد.

**ثانياً**: البحث وإعمال العقل والنظر فيما غاب عنا من أنباء السماء وأخبار الأولين والتعرف على السنن الإلهية، يؤدي كل ذلك إلى الوصول إلى قناعة تامة بالله الأحد.

**ثالثاً**: ترسيخ القناعة العقلية التامة في الخالق، يؤدي إلى اليقين وإتباع شرع الله سبحانه وتعالى الذي أوحى به إلى نبيه المصطفى محمد صلّى الله عليه وسلم ، أي إلى الهداية التامة، يمتثل المؤمن بما أُمر به وينتهي عما نُهي عنه.

**رابعاً**: هؤلاء الذين آمنوا عَقلاً بعد تفكر وتدبر وأصبح إيمانهم يقينيّاً، تغدو تعاليم الله عزّ وجل مصابيح هدى لهم تهديهم سبل الطريق القويم، هؤلاء سيفلحون دنيا وآخرة إن شاء الله.

من الارتكازات السالفة للآيات السابقة أنطلق لما أريد قوله :

بَيّن الله جلّ جلاله الطريق السّليم لتربية العقل وفق مقاصد الشرع، بأن يقف الإنسان العاقل المدرك يتفكر في خلق السماوات والأرض، يتدبر الآيات الكونيّة، يتبصّر في مخلوقات الله جلّ جلاله وفي نفسه – كل حسب قدرته – ليصل إلى قناعة تامّة إلى أنَّ ما يتفكر به ويتدبره ويتبصّر فيه، إنّما من خلق خالق واحد أحد، يسترشد بالسّنَنِ الإلهيّة، كونيّة كانت أو إنسانيّة، ليتحول هذا المزيج البحثي، العيني والغيبي إلى يقين قلبي يتوحّد بعده مركز التفكر وهو العقل، ومنبت اليقين وهو القلب ليصبحا عند الإنسان لبّا موحّدَ الاتجاه؛ لبناء سعادة الدارين، دار الفناء في دنياه ودار الآخرة في أخراه.

إذن من وظائف الإنسان أن يصل للإيمان اليقيني ثم يزرع بذرة اليقين هذه التي سقطت من العقل، يغرسها بالمنبت المهيأ لها في تربة صالحة لنموها، وهنا عليه أن يتوجه إلى معلم مربي ومزكي، إلى وارث محمدي حتى يرعى هذه البذرة وينميها، يُفهمه ما استعصى على لبّه و يُشربه ما عَسُر عليه. يقول بديع الزمان: "نعم ، إذا ما راجع مريض مهندساً بدلاً من طبيب، ظناً منه أن الطب كالهندسة. وأخذ بوصفة المهندس، فقد أخذ لنفسه تقريراً بنقله إلى مستشفى مقبرة الفناء، وعزّى أقرباءه. وكذلك مراجعة أحكام الماديين في المعنويات التي هي الحقائق المحضة والمجردات الصرفة واستشارة آرائهم وأفكارهم، تعني الإعلان عن سكتة القلب الذي هو اللطيفة الربانية، وعن سكرات العقل الذي هو الجوهر النوراني"[106].

**الخطوات الإجرائية المقترحة لتربية اللب وِفق الرؤية الإسلامية المقاصديّة من قبل الولادة حتى الوفاة :**

ابتداءً يجب أن نفرق في التربية بين تربية اللبّ لمن هو أهل للتكليف حمل مسؤولية نفسه، أو نفسه وغيره، وبين من هم ليسوا أهلاً للتكليف وذلك قبل الولادة أو بعدها:

**أولاً : تربية اللب لمن ليس أهلاً للتكليف وفق المقاصد الشّرعيّة :**

الوصول لما نهدف إليه يحتم علينا البدء بتربية الوالدين قبل وليدهما، وذلك بتعليمهما من خلال منهجية الخالق وتزكيتهما التزكية القرآنية، ولا مانع هنا من إنشاء دورات تُعلم الشاب والفتاة آلية نجاح الزواج وتربية الأطفال وسبل التغلب على المصاعب والمشكلات وكيفية التعامل معها، فالمدارس أو الدورات التأهيلية الإجبارية الموجودة في كثير من البلدان لقيادة الآليات كالسيارات مثلاً، أقل أهمية من الدورات التي أقترحها ولا حاجة للمقارنة بينهما.

آ – **من قبل الحمل حتى الولادة:**

يجب أن يكون أساس اختيار الشريك لشريكه أساساً دينياً إيمانياً، ويُعرف عمق الأساس من السلوك الظاهر مع سبر الأغوار الداخلية، للوقوف على المفاهيم والأفكار التي يحملها كل منهما بطيّاته ومدى التزامه بها، فالبيئة والعامل الوراثي لهما الأثر البالغ على الأبناء، لذا علينا توفير المسكن الملائم ما استطعنا.

بعد الزواج يُبدأ كل لقاء جسدي بين الزوجين بالتعوذ من الشيطان والبسملة، كما علمنا رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

نحقق الصحة النفسية والجسدية للجنين، بسلامة صحة الأم النفسية، وذلك بتجنبها المؤثرات والانفعالات المفاجئة، مع تغذيتها الغذاء الصحي اللازم ومتابعة الرعاية الصحية لكليهما.

نُسمع الجنين ما أَمرنا الشرع أن نَسمعه أو نَتحدث به، ونجنبه سماع ما نُهينا عنه.

**ب – من الولادة حتى سن التكليف:**

1 – عند ولادة الجنين نقوم بما يلزم له، كما نصّت عليه شريعتنا السمحة، من آذان بأذنه اليمنى وإقامة بأذنه اليسرى، واختيار اسم لائق وحسن له، وحلق شعره وذبح العقيقة، وأثر هذا مشترك بين الوليد وأهله والمجتمع.

يجب أن يعطى الطفل حقه من الرعاية الغذائية والصحية من نظافة وطبابة.

يمنح الطفل حقه من اللعب المشروع بحرية مطلقة، مع المراقبة لما يقوم به التدخل في اللحظة المناسبة، وهذا الأمر يساعد على بناء شخصيته المستقلة .

نحرص على إسماع الطفل من قبل أن يدرك معاني الكلمات، ذكر الله جلّ جلاله عند الطعام والشراب، مع ترغيبه عند قدرة السير على القيام بعبادة الصلاة تقليداً لنا بالشكل الذي يحبذه، لترسخ بذهنه شيئاً فشيئاً عادات يعتادها من صغره حتى يعقل.

نبدأ معه عملية الإرشاد والتأديب عند قدرته على الإدراك، نستمع إليــه ونحــاورهُ ونمنحهُ فرصة محاكاة الأمور وفق ما يراها، لنبني لــه شخصيته المستقلة القــادرة علــى القيادة والانقياد بتعقل وحكمة، على قدر إمكانية استيعابه، وبذلك نشرع مع الطفــل بعملية التلقين لما يجب أن نغرسه بنفسه، ونعلمه إيّاه من أسس الدين القــويم والتربيــة العقلية والقلبية والنفسية والجسدية، ليزكوا عقله وتربوا مداركــه مصــهوراً بفضــائل الأخلاق، مع تجنب القسوة التي تؤدي إلى ضعف الشخصية.

نحبب للطفل التعلم ونوجهه لــه مع تشجيعه على السؤال وعدم الحياء منه، ونتبع لذلك السرد القصصي والتكرار، ثم الاستماع له ليروي أو يعيد ما بقي بذاكرته، حــتى يتدرب على طلاقة اللسان والحوار، ولتعميق هذا الاتجاه عنده نتبع معه وسيلة الثــواب والعقاب.

نختار له مدرسة فيها تلقيح بين العلوم الدينية والدنيوية، إذ لابد من هذا التطعــيم في العلوم حتى تتهذب نفسه وتنمو مداركه العقلية، كي نراعي ميولــه وتركيــزه، وهــذا يتطلب اختياراً دقيقاً لمناهج التعليم، فقد يبدع في العلوم البحتة أو المهن الحرة، نشــجعه على ذلك مع تربيته تربية إيمانية قوية، فالمجتمع بحاجة لكل الاختصاصات، مــن أجــل شموخ حضارته.

الاعتناء باختيار المعلم المربي، لأن الطفل كالعجينة بين يديه يستطيع أن يُطَبِّعَه كيفما يشاء، بالإضافة لأخذ الطفل كلام معلمه وكأنه مُنــزل مُقَدَّس، وخصوصــاً بمراحــل التعليم الأولى، لذا علينا أن نربي المعلم تربية تليق بمن يصنع رجال المستقبل وقُواده.

تشجيع الطفل على إطلاق العنان لعملية إعمال العقل والتفكر ضمن دائرة الشــرع، كي يرفض التقليد الأعمى والتبعية من غير دليل فيما بعد.

تشجيع الطفل المميّزعلى القراءة، مع مراقبة ما يقرأه الطفل مراقبة جيدة، وإرشاده إلى قصص إسلامية من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتاريخ الصحابة.

معرفة الأهالي لأصحاب ورفقاء أبنائهم عن كثب، والتدخل وقــت اللــزوم مــع ترشيدهم لعملية الاختيار، وبهذا نحجب السيئ بكل ما فيه من تضليل لعقولهم ونربطهم بالجيد عقلاً وديناً وخلقاً من الأصحاب.

حجب ما يفسد العقل والقلب والنفس والجسد عنهم، سواء كان المفسد معنوياً أو مادياً، ويدخل في هذا وسائل الإعلام الإذاعية والمرئية، فالغالب فيها اليوم هادم يــدس السّم في الدّسم، وهذا لا يعني لفظ لغة العصر بل يعني حسن الاختيار.

نوجههم لتعلم لغة أجنبية وإتقانها ثم الانتقال لغيرها، مع تعليمهم لغة العصر كلغة معالجة الحاسب – الكمبيوتر و الإنترنت – حتى يمتلكوا بالإضافة للعلم والعقل الحكيم لغة تعينهم في عملهم الدعوي من مواقعهم.

عند وصول الطفل المميز لسن تقارب الحلم وانتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة جديدة من بداية الشباب، يجب على الوالد أو الوالدة إعلام أبنائهم طبيعة ما سيطرأ لهم من تغييرات فيزيولوجية عند البلوغ، مع إبلاغهم حقيقة العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة بمنهجية شرعية تضمن سلامة توجه عقولهم نحو الغرائز الإنسانية، مع تعليمهم كل الأحكام المتعلقة بهذه القضايا؛ كي لا يكتسبوا علمهم عن العلاقة بين الذكر والأنثى ممن ليس أهلاً للتعليم، فيوجه غرائزهم بشكل حيواني مما يسيء حتما إلى طبيعة تفكيرهم، وفي هذه المرحلة لابد من اختيار اللباس الشرعي الكامل.

إن عرضت لهم مشكلة عارضة يجب الاستماع إليها، لتحديد أسباب ودوافع المشكلة؛ كي نختار الحلول المناسبة بناء على الأسباب والدوافع، مع إظهار العقبات المتوقعة التي ستعيق الوصول للحلول المفترضة، ومن ثمّ يترتب علينا تعيين الطرق المثلى لتذليل هذه العقبات حتى نصل للحل الإسلامي الأفضل، كل ذلك يتم من خلال إعمال عقولهم وإشراكهم باستنباط الحلول وإظهار العقبات وكيفية تذليلها وبهذا ندربهم صغاراً على المحاكاة العقلية، وعلى مناقشة الأمور وفق منهج الشريعة السمحة؛ ليتمرسوا على هذا النهج كباراً ويكونوا قادرين على مواجهة ما يقف في طريقهم من أزمات.

إعطائهم من المال ما يلزمهم ضمن الطاقة والقدرة، مع تعميق مبدأ القناعة بما في اليد، مع ضرورة تعليمهم حجب العين عمّا بيد غيرهم، إذ المال يُفسد من لا يعرف كيفية التصرف فيه بوجهه شرعية.

**ثانياً : الطرق السّليمة لتربية لب المكلّف وفق المقاصد الشّرعيّة :**

يقترف المرء معاصيَ من كلّ الألوان والمراتب، يغيب عامل الوازع الداخلي عنده، ويجعل الهوى سيد الموقف، والأنا متحكمة تبعاً للمصلحة الشخصية، يصل لغايته بشتى الوسائل المبررة، وقد نلقاه مصلياً لبعض الأوقات أو كلها مجافياً مقاصدها، يُعمل عقله فيما يريده من شهوات الدنيا، متناسياً أنّه إنسان حَمَل الأمانة وهو ماثل بين يدي خالقه، متغافلاً أن إنسانية الإنسان فيه يجب أن تُرى وتُلمس وتُمارس، لهذا نرى كثيراً من الصور الآدمية تُخفي خلفها الحقيقة الوحشيَّة لصاحبها.

إذن كيف السّبيل إلى بناء مثل هذا الخراب الداخلي لأشباه الإنسان؟ كيف السبيل إلى ترميم إنسان تائب؟ ما هي الطرق السليمة لتربية هذه العقول انطلاقاً من مقاصد الشريعة؟.

لابد من مقدمة لهذه التساؤلات، ثم التقاف الجواب من الخطوات المقترحة:

سمَة العلم الراسخ أوضحها قوله تعالى: [ **حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ** ] [المدثر:47]، ولتحصيله طرق ثلاثة على الترتيب:

البحث والنظر والتدبر والتفكر، وهذا ما ندعوه بعلم اليقين، كما قال الله تعالى في ذكره الكريم: [ **كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** ] [التكاثر: 5]، وعند الانتهاء من هذه الخطوة نرى المرء يقف عند أول طريق الصِلة بالله تبارك وتعالى، إن اهتدى للصواب، وإلا ضلّ على علم.

الرؤية من خلال البصيرة، وهذا حق اليقين، ويمثّل هذه الخطوة قوله العزيز: [**إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ**] [الواقعة: 95]، [ **وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ** ] [الحاقة: 51]، وهذه الخطوة تضع المرء المهتدي في طريق الصلة بالله عزّ وجل ، وتقدر قوة هذه الصلة بمقدار التقرب من الله تعالى، للمؤمن في حياته قبل وفاته، ولغير المؤمن إثر موته، إذّاك يعلم أن ما لم يصدقه أثناء حياته إنّما هو حقٌّ قطعيّ الثبوت. يقول بديع الزمان: "إن القلب مستقر الإيمان، بينما الدماغ مرآة لنوره، وقد يكون مجاهداً وقد يزاول كنس الشبهات وأدران الأوهام. فإن لم تدخل الشبهات التي في الدماغ – كما هو ظن البعض – فالاحتمالات الكثيرة والشكوك تصبح أعداءً ألدّاء لروح الإيمان الذي هو حق اليقين. إن القلب والوجدان محل الإيمان. والحدس والإلهام دليل الإيمان. وحسّ سادس طريق الإيمان. والفكر والدماغ حارس الإيمان"[107].

المشاهدة العينيّة التي لا يدخلها أدنى شك، وهذا عين اليقين، وشاهد ذلك قوله تعالى: [ **ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ] [التكاثر: 7]، وهذه الدرجة سيشترك بها جميع الناس في الآخرة، مع فرق شاسع بين مكانة المؤمن الحقيقي المتصل بالخالق سبحانه وتعالى وبين غيره، ففي يوم الحساب سيشاهد كلّ الناس بعثهم من جديد وحساب المبدع لهم، أما في حياة الفناء فسيرقى وارث علم رسول الله صلّى الله عليه وسلم لهذه الدرجة.

ويقول بديع الزمان مصدقاً لكلام الله تعالى: "إن القرآن الكريم... يمينُه: تسليم القلب والوجدان بالتجربة.. يساره: تسخير العقل والإذعان بعين اليقين..."[108].

لذا أقول:

الإنسان مطالب باتباع هذا السبيل للوصول إلى السلامة في الدارين، كلّ على قــدر إمكانياته العقلية والذهنية، فإن قصّر مقصّر فيما يتوجب فعله، سيلاقي حسابه منــدرجاً في قانون إلهي منصوص عليه بقوله تعالى: [**لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إلاّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**] [البقرة: 286 ]، ومعلوم أن الوسع هو ما يطيقه الإنسان ويسـتطيعه بالضبط، بغير زيادة أو نقصان لقُدُراته الذهنية؛كي ينجو من مُؤاخذة الله العالم لما أبدع وخلق، فمثلاً من يتمكّن من حمل عشرة أرطال يتوجب عليه حَملها، لأنها في وِسعه، أما إن طفَّف وأنقص فالحساب عليه واقع، وشدّته بقدر ما طفَّف.

لذا عندما يحاسبنا من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور على قدر الإمكانية العقلية الباحثة والمفكرة التي وهبها لنا، يُقسط وما ظلمنا في شئ.

ولأن القلم جرى على المكلَّف، ولأن الحكيم العليم بيَّن لنا مسلك بناء اللُّبّ السليم الذي نرقى به إلى اليقين، أوجب علينا إعمال العقل بالنَّظر العينيّ والفكريّ للتوصل إلى الإيمان تبْعاً للمقاصد، أو الانــزلاق للإلحاد – والعياذ بالله – مع تبيين الدليل القاطع لمن يدعيه، تماشياً مع المنهجيّة العلميّة القرآنيّة القائلة: [**أمَّن يبدأ الخلــق ثم يعيــده ومَــنْ يرزقكم منَ السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**] [النمـل: 64 ]، وقد يكون هذا الإله هوى النفس كما ذكر الله تعالى: [**أرأيت مَن اتخــذ إلهــه هواه**] [ الفرقان : 43 ]، لذا مَن دَرَبَ دَرْب الكافرين سيرى بعقله وعينه ما كفر به عنــد موته وبعثه يوم النّشور، حينها يوقن بالحق الواحد الأحد ويقول لو أنّ الذي كان مــا كان، وجميعنا عبيد لله عزّ وجل طوعاً أو كَرهاً، والعاقل من اتعظ بغيره، وتوقّف عنــد قوله تعالى: [**ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير ✎ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنّهار لآيات لأُولي الألباب ✎ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكَّرون في خلق السموات والأرض ربَّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فَقنا عذاب النار**] [ آل عمران:189-191]، آية جامعــة توضِّــح في سياقها انصهار إيمان الإنسان بالغيبيات مقروناً بالحسِّيّات، المعتمد علــى تشــغيل أداة التَّفكُّر عند من أراد أن يتعقَّل؛ حتى يهتديَ حقَّ الهدَاية وينتقل إلى اليقين الــذي يجعــل صاحبه متصلاً بالله عن طريق لُبٍّ دائم الذكر له في كلّ حال، يتدرَّج بين علم الــيقين وحق اليقين وعين اليقين، في دنياه قبل أُخراه، يتبصَّر في منهج ذي وضع إلهي مرصَّــع بلآلئ مقاصديّة، يخلب الألباب قبل الأبصار، لكل باحث جاد عن سلامة البناء للفــرد والأمة؛ كي يسعد الإنسان ويحيا بسلام، بينه وبين نفسه وخالقه وإطاره ســواءً أكــان الإطار الأسرة أم المجتمع.

**الخطوات المقاصدية المقترحة لتربية و بناء لب المكلَّف :**

1 - يجب على المرء أن يقف مع نفسه ويسألها إلى أين المبتغى؟ ما هو المراد من الحياة؟ ولكي تكون الإجابة صادقة لابد من شرارة قادحة من ناصح أهل للنصيحة، وهنا الدور يشترك به الفرد مع المذكِّر أو المعلم الناصح، فالحوار البَنَّاء له اليد الطولى في ترسيخ أُسُس بناءٍ متراص، خاصة إن كان مستنداً للب متعلم وحكيم، مُربٍ ومُزكي قرآنياً، واسع الخبرة في جلب أذن المستمع إليه بتنظيم دقيق، يُحدثه فيما يُرَغِّبه للاستماع إليه، وعمل المتلقي لا يقلّ أهميّة عمّا يقوم به المعلم، إذ عليه معالجة ما تلقّاه والتفكر به بعقلانية المحاكمة المنصفة للأصلح، يوازن بين ما سمع وبين ما هو عليه، حتى يأتيَ قراره من منبع مصلحة شخصيّة بعيدة المدى، ينال معها لذّة دائمة، في حاله ومآله، كي لا يكون كمن يبني على الماء.

2- الزرع لا يُسقى بالنِّفط، لذا علينا انتقاء المُرَبِّ المعلّم، يبني العقل ويُزكي النّفس، وهو أمر ليس باليسير.

و لأنّ الرُسوخ ثباتٌ والقصد يُسعى إليه، على المتعلِّم ملازمة معلمه ومربّيه ما استطاع لذلك سبيلاً؛ كي ينتفع منه قدر الإمكان، مثلما فعل الصحابة الكرام والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

معلوم أن مصاحبة الأخيار غنيمة، والأصحاب ميزان للمرء ومرآته، لذا عليه اختيارهم على أسس المنهج الشرعيّ؛ ليشدوا من أزره ويقوِّموا اعوجاج حاله ويُسْدوا النُّصح عند احتياجه، ينطلق من مبدأ أساسه أن الفرد للجماعة كي يرى ويلمس تفاني الجماعة للفرد.

أن يُقلع عمّا يؤدي إلى الشذوذ والانحراف والاضطراب والأسقام النّفسيّة، لأن افتقاد العوامل التي توصل إلى السّلامة الدّاخلية للإنسان، تؤدّي إلى حركة وتفاعل داخليّ مرضيّ يُشتت المرء ويمزّقه، وهنا نرى أثر نظرة المجتمع للممنوعات الشرعيّة، لأنها تساهم في زيادة الأمراض النّفسيّة والاجتماعيّة أو تخفيفها، إذ العوامل البيئيّة والنّفسيّة والروحيّة والعقليّة المتخلخلة والمتنافرة، تحتِّم حركةَ مدٍّ وجذرٍ داخليّ مع فقدان للتّوازن والاتّزان.

6 - الاستفادة من الوقت، إذ الفراغ قاتل والزّمن لمن يتمكن منه، يغتنم كلّ ثانية ولحظة من ساعات يومه، فما يضيع فائت لن يعود، ومن سُبل ذلك استخدامه الوسائل العلمية الحديثة والمتطورة كالحاسب والإنترنت، أو الإذاعة المرئية والمسموعة، مما يُسمح به شرعاً بما ينمّى به العلم النّافع والمعرفة المفيدة، أو أن المرء يَشْرَع بالدراسة والمطالعة

الجادّة، مبتدئاً بالكتب التي ترسّخ العقيدة، ثمّ الكتب التي توضح سيرة نبيّ الأُمّــة عليــه الصلاة والسّلام، مع حفظ ما تيسّر من كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله المصطفى صلّى الله عليه وسلم ، ثمّ يتناول نخبة من كتب الفكر الإسلاميّ التي تعرض إشكاليات عصريّة واقعيّة وتسعفها بحلول مناسبة، تكون هذه الكتب لمؤلفين مرمــوقي اللُّــبّ اشــتهروا بتميزهم.

عدم الحياء من بدء التعلّم والسؤال عما يجهل، وإن بلغ من العمر عتيّــاً ،فالعيــب بالجهل والرضا به لا بجلوس متعلم بين يديّ العلم والصبر عليه، وتتمّ الفائــدة المرجــوة بزكاة العلم وإنفاقه عن طريق تعليم ما يتعلّمه المتعلِّم، مما يعطيه مَلكة الحوار مع الآخرين، ويساعد هذه الخصلة الحميدة طرح قضيّة أو إشكاليّة جادّة ثم معالجتها، بوضــع سُــبل حلِّها بمنهجيّة مقاصديّة سليمة.

التّشمير عن السّواعد وشحذ الإرادة للهمم العاليّة والتّرفع عن الصَّــغائر، فــالإرادة والتّصميم تخرقان الفولاذ، واليأس يهدم شوامخ الأعمال وعظائمها، لهذا يجب وضع الآية الكريمة التالية نصب الأعين: [**ولا تيأسوا من روح الله إنّه لا ييــأس مــن روح الله إلا القوم الكافرونَ**] [يوسف: 87]، ينطلق الفرد من مقاصدها فيما يودّ بناءه، كي يتم المراد.

هذا ما أقترحه من خطوات عمليّة لإعادة هيكلة العقل المســلم، بشــكل منــهجيّ مقاصديّ، علّها تُسهم في بعث الروح في جسد الأمّة، وإيقاظها من سباتها الــدماغيّ، وإعادة النّبض لقلبها الصّدئ، واختراق القنوات السّمعيّة المُوْقَرة، وتكسير حواجز الأعين المطمسة، فتتحرّك الأعضاء وتنشط الحواس جميعاً بما فيها الحاسة السادسة الخاملة، لــذا تراني أضمّ قلمي وصوتي بل وكلّي إلى كل صادق يجتهد في البناء والنــهوض، يقــول تعالى: [**فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم**] [ التوبة: 129 ].

## ختاماً أقول :

إن القرآن الكريم كتاب إلهي خاطب به الخالق الخلــق، يحــاكي عقــولهم ويفنــد خواطرهم، يصف آفات عقولهم وأمراض قلوبهم وسقم نفوسهم وعلل ألسنتهم، ثم يضع لهم العلاج الشافي لجميع نقائصهم وتناقضاتهم، فمن أبى هلك وأهلــك، هــدم نفســه ومحيطه، وكان عوناً لأعداء الإنسانية علم أم لم يعلم، أما من امتثل لخطط العلاج وأقبل على الدواء استفاد وأفاد، يبني لبه المتحد من عقل حكيم وقلب مستنير بتوازن تام، وخير معين له بذلك اليوم،في ظل ندرة المعلم المربي أو غيابه، ما خطه بديع الزمــان الإمــام سعيد، كي يسعد بكلامه ويستلهم من نور رسائله نوراً لطريقه، فالقاصي والداني، العدو

والصديق، شاهد التوازن التام بين النقل واللب المتنور بنور أسماء الله الحسنى، جــزاه الله عنا خير جزاء وأعاننا على بذر بذوره، فالمتتبع لضياء قلمه وإشراقة فكره يرى الآتي :

**أولاً** : الفهم الدقيق لمساحة العقل وسعة القلب، وإعطاء كل منهما مكانته الصحيحة دون جور أو إجحاف لأحدهما على الآخر.

**ثانياً** : تأكيده على التوازن التّام بين وظيفة العقل ودور القلب وامتلاك القوة الماديـــة في بناء الفرد والأمة، منطلقاً من الفهم السليم للنصّ الشرعي في القرآن الكريم والســنّة النبوية.

**ثالثاً** : وضع العقل الحق – وأقصد به اللّب – في موقع الرّيادة لمسيرة الإنسان، محارباً في كثير من المواضع الهوى في فهم المنقول، مؤكداً على ضرورة الوعي المقاصدي للنص القرآني المتوافق مع الكلّيات والجزئيّات الشرعية بتوازن تام.

**رابعاً**: انطلق بخطابه المقاصدي من النقطة المقاصدية الأولى من خلق الخالق الخلــق، وهي تحقيق السعادة للإنسان في الدّارين، أدرك بُعْدَ ذلك فكرّس حياته لتحقيــق معــنى الخلافة وحَمْلِ أمانة تبليغ كلمة التوحيد ونـــزعِ الأغيار من مستقبِل الأنــوار الإلهيــة؛ ليرقى بالعقل والقلب معاً من الدونية المردية إلى سمو الصلة الحقيقية بالله عزّ وجل ، مفيداً بذلك كلٍ من وفّقه الله تعالى لفهم القرآن الكريم من خلال رسائل النور.

**خامساً**: بديع الزمان رجل مقاصدي رمزي علّامة نابغة، وازن بين النقل والعقل من منبع المقاصد الشرعية، ألّف مؤلفاته التي عجنت بعلم المقاصد. هُضم حقــه في العــالم الإسلامي لعدم فهم لغته، فهي تحتاج لغوّاص في المبنى والمعنى، مما أتعب الأستاذة المترجمين بنقل النص من لغته القومية لغيرها، فأثر ذلك في بعض الأحيان على سياق النص، كمـــا أتعب بذات الوقت الدارس والباحث في مؤلفاته. وما ورد في كتاب "نثر الدر" يصدق عليه فقد ذُكر فيه ما نصه: "قال بعضهم لأبي تمام: لِمَ لا تقولُ ما يُفهَم؟ فقال: لِــمَ لا تفهمون ما يقال"[109].

حاول النهوض بالأمة الإسلامية من منبع مقاصدي رمزي، فأتى بالجديد بما خطــه لمفهوم معالجة الآفات والأمراض البشرية الداخلية، يعتمد النص للاستقراء والاســتدلال، مع ضرب المثال الذي يوحي بالفكرة، ثم يُنَصِّبُ العقل المجتهد كـــي يفهـــم ويســـتنتج ويستنبط من استقراء الأدلة بمنهجية مقاصدية رمزية.

### وأختتم بحثي بشكر واقتراح:

جزى الله عزّ وجل خير جزاء القائمين على إحياء فكر بديع زمانه الإمـــام ســـعيد النورسي، على ما بذلوه ويبذلونه،من أجل تحريض بعث العلم في المعلم والمتعلم بمنـــهج

إلهي ونبوي، علم منقّى من شوائب وترهات وأفكار تلطخت بها المسيرة الحضارية الإسلامية.

وحتى تتم الفائدة أرى أن نتعاضد جميعاً من أجل إخراج فكر عالم دَرَبَ درب الأُول، أُثبت بالدليل القاطع أنه الفكر الحق من عند الحق تبارك وتعالى، إخراج فكره من الدائرة الإقليمية الضيقة إلى الساحة العالمية الرحبة، من خلال نهج هادئ وحوار رائد بنّاء وثورة بيضاء على كل ما يشوه الفطرة النقية، يُقام انقلاب على قيادة الأنا والهوى من خلال تقوية المحاكاة العقلية للحركة التفاعلية الداخلية للفرد والمجتمع؛ ليغدو اللب المنور بنور التعاليم السماوية مرشداً للمسيرة الإنسانية، فتذوب الذات في مرجل وحدة الصف الإسلامي، وهذا يحتاج لخطة مدروسة طويلة المدى ذات أفق واسع مدعومة بقوة علمية ومادية مع تضافر الجهود المخلصة التي تتمتع بنَفَس طويل وصبر لا يعرف الحدود.

لذا أقترح أن تنبثق من المؤتمر لجنة تُختار بعناية من السادة العلماء الحكماء من بلدان إسلامية متعددة، تكون في حالة انعقاد دائم مفتوح، تتابع ما قُرِّر وتُعْلِم المؤتمرين بآخر ما استجد، وتواكب أحدث الوسائل العلمية المتطورة في الاتصالات لسهولة التواصل مع العامة والخاصة بكل اللغات الحية، وحبذا أن يكون المقر الرئيسي في تركيا، وإن وجد بعد الدراسة ضرورة إنشاء فروع له في الأماكن الحيوية من العالم فلابأس من القيام بذلك، مع الحرص الشديد على عدم التدخل في الشؤون السياسية الداخلية أو الخارجية لأي بلد كان، فوظيفتنا محددة ببعث الإسلام الصحيح في النفوس والعقول والقلوب كما نزل على قلب الأمين صلّى الله عليه وسلم ؛ لإحياء روح الإنسانية في الإنسان وإرشاده سبل حمل أمانة تبليغ كلمة التوحيد وتحقيق خلافته الرشيدة في نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته والإنسانية جمعاء.

هكذا بدا لي التوازن بين العقل والقلب من منظور نور رسائل النور، فإن أصبت فمن الله سبحانه وتعالى وإن أخطأت فمن نفسي، وحسبي أن الله عزّ وجل وحده من وراء القصد، شكراً لكل من ساهم بإنجاح مؤتمرنا، بجهد أو مشاركة أو بكلمة بناءة.

**وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

## دليل المصادر و المراجع

أبو زايدة،عبد الفتاح أحمد، الوعي الفكري في الحضارة الإسلامية، صحيفة الدعوة الإسلامية (1990).

أبو يحيى، محمد حسن، أهداف التشريع الإسلامي، دار الفرقان، عمان، ط1(1985).

الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين، من نثر الدّر ـــ السفر الأول، اختار النصوص وقدم لها وعلـــق عليهـــا مظهـــر الحجـــي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1 (1997).

أرسطو،منطق أرسطو:الجزء الثاني "كتاب البرهان"، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952.

الأشعري، أبي الحسن، مقالات الإسلاميين في اختلاف المصليين، دار النشر فرانـــز شتايز، فيسبادن، 1980.

الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم والدار الشامية، الطبعة الأولى (1992) .

الأنباري، كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد، الداعي إلى الإسلام، دراسة وتحقيق ســـيد حســـين بـــاغجوان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1(1988).

ابن حزم ، محمد علي (الأندلسي الظاهري)، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، ط1 (1984).

ابن حزم، محمد علي (الأندلسي الظاهري)، الفصل في الملل والأهـــواء والنحـــل،دار منشـــورات عويـــدات ، الطبعـــة الأولى (1982).

ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ترجمة د. جميل صليبا، 1982.

ابن داوود،عون المعبود "شرح سنن أبي داود" للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح الحافظ ابـــن القـــيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1990) .

ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد، كتاب فصل المقال ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، دار الشروق، بيروت، ط4.

ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد، تلخيص منطق أرسطو، تحقيق جيرار جهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت ، 1992 .

ابن زرعة، البرهان، تحقيق د. جيرار جهامي و د.رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.

ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، 1960.

البخاري، فتح الباري "شرح صحيح البخاري" للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، ط1(1990).

البزدوي، علاء الدين بن عبد العزيز بن أحمد البخاري، كشف الأسرار، دار الكتاب العربي، ط1(1991).

البزدي، محمد تقي مصباح، محاضرات في الأيديولوجيا المقارنة، الناشر منظمة الإعلام الإسلامي بمطبعة سلمان فارسي ط2.

بن نبي،مالك،الظاهرة القرآنية، ت د. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4(1987).

بن نبي، مالك، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط1(1991).

بن نبي، مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق، ط3(1987).

بن نبي، مالك، بين الرشاد والتيه، دار الفكر، دمشق، ط1(1981).

بن نبي، مالك، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط5(1991).

بن نبي،مالك،شروط النهضة،ت أ.عمر كامل مسقاوي و د.عبد الصبور شاهين،دار الفكر، دمشق، ط4(1987) .

بن نبي،مالك،فكرة الأفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، ت د.عبد الصبور شاهين، دار الفكر،دمشق،(1981).

بن نبي، مالك، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، (1981).

بن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، ت د.عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4(1984).

بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع"شبكة العلاقات الاجتماعية"، ت د.عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط3(1986).

بن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، ت د.عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط5(1986).

الترمذي، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام المباركفوري، طبعة جديدة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1(1990).

التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بدون.

التهانوي، محمد علي الفاروقي، موسوعة كشاف مصطلحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1(1996).

الجابري، محمد عابد، ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت(1998).

الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت(1992).

الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت (1991).

جبر، فريد، وغيره، موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1(1996).

جدعان، فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام ، دار الشروق ، عمان، ط3 جديدة ومعدّلة (1988).

الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت(1985)، طبعة جديدة.

الجوزو، محمد علي، مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1(1980).

حبنكة الميداني، عبد الرحمن، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة (1988) .

حمزة، محمد، التآلف بين الفرق الإسلامية، دار قتيبة، الطبعة الأولى(1985).

خالد ، حسن، موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، معهد الإنماء العربي، ط1(1986).

خياط، محمد جميل، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1996.

الدباغ، فخر، غسل الدماغ، دار الطليعة، بيروت، طبعة منقحة ومزيدة، آذار (1982).

دُغيم، سميح، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1 (1998).

الدهينة، عبد الكريم، صراع بين النفس والعقل، المكتب الثقافي، القاهرة، ط1 (1989).

ديكارت، مقالة الطريقة، ترجمة د. جميل صليبا.

الرازي، فخر الدين، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، تقديم وتعليق سميح دغيم، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992.

الركابي، الشيخ، نقد العقل الإسلامي، الحلقة الأولى، قراءة مفتوحة.

زادة، طاش كبرى، موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1(1998).

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الأوقاف الإسلامية بالكويت ودار الصفوة بالغردقة، 1992.

السرخسي، أصول السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ط1(1997).

سعيد، جودت، اقرأ وربك الأكرم، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2(1993).

سعيد، جودت، الإنسان كلاً وعدلاً، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1(1993).

سعيد، جودت، العمل قدرة وإرادة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط2(1993).

سعيد، جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط7(1993).

سعيد، جودت، فقدان التوازن الاجتماعي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1 (1993).

جودت، مذهب ابن آدم الأول "مشكلة العنف في العمل الإسلامي"، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط5(1993).

الشاطبي، الموافقات، دار المعرفة، توزيع عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

الصابم، محمد، قيمة العقل في الإسلام، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1988.

صبري، مصطفى، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2(1981).

الصدر، محمد باقر ، الأسس المنطقية للاستقراء، دار التعارف للمطبوعات، ط4 بيروت.

صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

طهماز، عبد الحميد محمود، أسباب حياة الأمم وسقوط الحضارات، الدار الشامية، بيروت، ودار القلم، دمشق، ط1(1992).

العالم، يوسف حامد، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار الحديث، القاهرة، والدار السودانية، الخرطوم، بدون .

عبد الجبار، القاضي، المغني، الجزء11، تحقيق أ. محمد علي النجار و د. عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

عبد الغني، عبد المقصود، أضواء على الفكر الفلسفي، مكتبة الزهراء، القاهرة.

عفيفي، محمد الصادق، الفكر الإسلامي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

عمارة، محمد، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط1(1998).

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار الخير، بيروت، ط2(1993).

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، المستصفى، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، المنخول من تعليقات الأصول، حققه وخرّج نصه وعلّق عليه محمد حسن هيتو، دمشق، 1970.

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، المنقذ من الضلال، مطبعة الصباح، دمشق، 1990.

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2(1975).

الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، معيار العلم، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر (1961).

الغزالي، محمد، كيف نتعامل مع القرآن، دار الوفاء، ط1(1992).

غليون، برهان، اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، دار التنوير، بيروت، ط2(1987).

الفارابي، مبادئ الفلسفة القديمة : عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة، مطبعة المؤيد، 1910.

فضل الله، مهدي، العقل والشريعة مباحث في الابيستمولوجيا العربية والإسلامية، دار الطليعة، بيروت، ط1(1995).

الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2(1987).

القرضاوي، يوسف، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1(1996).

كانت، عمانوئيل، نقد العقل العملي، ت أ.أحمد الشيباني، دار اليقظة العربية، بيروت،1966.

الكندي، رسالة في حدود الأشياء ورسومها، بدون.

المحاسبي، الحارث بن أسد، العقل وفهم القرآن، تحقيق د. حسين القوتلي، دار الكندي ودار الفكر، دمشق، ط3(1982).

محمد، علي جمعة، علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1(1996).

محمود، مصطفى، حوار مع صديقي الملحد، بدون.

محمود، مصطفى، رحلتي بين الشك والإيمان، دار العودة، بيروت، 1988.

محمود الديب، عبد العظيم، العقل عند الأصوليين، دار الوفاء، المنصورة ، ط1(1995).

مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة جديدة، مع مجلد خاص بالفهارس العلمية الكاملة، دار الكتب العلمية، بيروت.

مجلة المجلس الإسلامي الأعلى: دورية في الثقافة الإسلامية، الجزائر، العدد الأول.

المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعريف، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط1(1990).

موريس، كريسي، العلم يدعو للإيمان، ت أ. محمود الفلكي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط5(1965).

النجار، عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوعي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2 منقحة ومزيدة، USA.

النسائي، سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

نكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، مصطلحات جامع العلوم "الملقب بدستور العلماء"، تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ،ط1(1997).

النورسي، "بديع الزمان"سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان الصالحي، سوزلر للنشر، اسطنبول، ط3(1999).

النورسي، "بديع الزمان"سعيد، الشعاعات،ترجمة إحسان الصالحي، سوزلر للنشر، اسطنبول، ط1(1993)، مطبعة النسل.

النورسي، "بديع الزمان"سعيد، الكلمات، ترجمة إحسان الصالحي، سوزلر للنشر، اسطنبول، ط3(1998).

النورسي، "بديع الزمان"سعيد، اللمعات، ترجمة إحسان الصالحي ، سوزلر للنشر، اسطنبول، ط2(1993)، مطبعة المدني بمصر.

النورسي، "بديع الزمان" سعيد ، المثنوي العربي النوري ، تحقيق إحسان الصالحي، سوزلر للنشر، اسطنبول، ط2(1994)، مطبعة النسل.

النورسي، "بديع الزمان"سعيد، المكتوبات، ترجمة إحسان الصالحي، سوزلر للنشر،اسطنبول، ط2(1992)، مطبعة المدني بمصر.

النورسي، "بديع الزمان" سعيد، الملاحق، ترجمة إحسان الصالحي، سوزلر للنشر، اسطنبول، ط1(1995)، مطبعة النسل.

النورسي، "بديع الزمان" سعيد، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان الصالحي، سوزلر للنشر، اسطنبول، ط1(1998).

النورسي، "بديع الزمان" سعيد، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان الصالحي، سوزلر للنشر، اسطنبول، ط1(1995)، مطبعة النسل.

نوفل، عبد الرزاق، المسلمون والعلم الحديث، مكتبة صايغ، الطبعة الثانية.

الوائلي، عبد الجبار، العقل والنفس والروح، منشورات عويدات، بيروت، ط1(1982).

يفوت، سالم، حفريات المعرفة العربية الإسلامية: التعليل الفقهي، دار الطليعة، بيروت، ط1 (1990).

اليماني، أحمد بن يحيى بن المرتضى، كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل، تحقيق د.محمد جواد مشكور، مؤسسة الكتاب الثقافية، 1988.

## الهوامش:

1 الكلمات لبديع الزمان النورسي 437 .

2 الكلمات لبديع الزمان سعيد النّورسي 95 .

3 المثنوي العربي النوري لبديع الزمان سعيد النّورسي 244 .

4 كمثال على ما أقول : انظر المصدر السابق 12 حتى 17 ، و 219 ــ220 ، و 297 و ما بعدها ، والكلمة الرابعة والعشرون 375 و ما بعدها .

5 المثنوي العربي النوري لبديع الزمان سعيد النّورسي 223 .

6 المثنوي العربي النوري لبديع الزمان سعيد النّورسي 232 .

7 التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي لمحمد عبد الرؤوف المناوي218

8 القاموس المحيط للفيروزآبادي1114.

9 كشاف مصطلحات الفنون لمحمد علي الفاروقي التهانوي132/2.

10 موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب د. فريد جبر وغيره342.

11 موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي د. سميح دُغيم 500/1.

12 المصدر السابق 1075/2.

13 السنن الإلهية هي: "قوانين الله عز وجل التي أقام عليها بمشيئته النافدة، نظام الكون والإنسان والمجتمع والحضارة، وهذه القوانين تتصف بالعموم، والثبات، والاطراد، وإمكانية التنبؤ بها، وتسخيرها". "هذا التعريف يتناول ماهية السنن الإلهية باعتبارها قوانين نافدة ويحدد مصدرها وهو مشيئة الله عز وجل وحكمته البالغة، ويحدد ميادين عملها وهي: الكون والإنسان والمجتمع والحضارة وأخيراً يوضح خصائصها الرئيسية وهي العموم والإطراد والثبات وإمكانية التنبؤ بها وتسخيرها" مخطوط رسالة ماجستير للأستاذ حازم محي الدين، وسيطبع إن شاء الله.

14 ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني188.

15 الأسس المنطقية للاستقراء لمحمد باقر الصدر6.

16 انظر لما ورد تحت لفظة الدماغ، في شبكة الإنترنت بالموسوعة العربية العالمية، تحت عنوان:

http ://gae.naseej.com.sa/p8-10.html

17 إشارات الإعجاز لبديع الزمان سعيد النّورسي 117 .

18 خ : 641/11 كتاب الأيمان و النذور رقم 6632.

19 صيقل الإسلام لبديع الزمان سعيد النّورسي 532 .

20 القاموس المحيط للفيروز آبادي 1728.

21 القاموس المحيط للفيروز آبادي .138 .

22 المصدر السابق 1208.

23 مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني 333 .

24 مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني 672 . والبيت للنابغة الذبياني ، وصدر البيت : في إثر غانية رمتك بسهمها .

25 إشارات الإعجاز لبديع الزمان سعيد النّورسي 84 .

26 المصدر السابق 95 .

27 الشعاعات لبديع الزمان سعيد النّورسي 160 .

28 المثنوي العربي النوري لبديع الزمان سعيد النّورسي 413 .

29 خ : في الرقاق باب التواضع رقم 6137 ، و وردت زيادة عنده : « ما ترددتُ في شئ أنا فاعله ترددي في نفس عبدي المؤمن ، يكرهُ الموت و أنا أكره مساءَته » .

30 م : سكتاب الإيمان رقم 8 ، ت : كتاب الإيمان رقم 2738 ، د : كتاب السنة باب القدر رقم 4695 ، ن : كتاب الإيمان باب نعت الإسلام 97/8 .

31 انظر : التعريفات للجرجاني 157، رسالة في حدود الأشياء ورسومها . للكندي، الإشارات. لابن سينا 178، عيون المسائل. للفارابي 64.ديكارت، مقالة الطريقة، القسم الأول: 1 من ترجمة د. جميل صليبا، مقدمة ابن خلدون 797 من طبعة دار الكتاب اللبناني ،المعجم الفلسفي د. جميل صليبا 84/2 وما بعدها، مقالات الإسلاميين في اختلاف المصليّين. للإمام أبي الحسن الأشعري 480 ، المغني للقاضي عبد الجبار 375/11 ، الفصل في الملل والأهواء والنحّل. لابن حزمٍ 71/5 – 72 ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. لفخر الدين الرازي 81 ، البرهان لابن زرعة 227 ، معيار العلم للغزالي 286، البرهان لابن رشد 450 ، البرهان التحليلي الثاني لأرسطو 465.

32 موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي 1200/2 – 1201.

33 أصول السرخسي 1 /346 ، وانظر كشف الأسرار شرح البزدوي 732/2 .

34 المنخول للغزالي ، ص 45.

35 المستصفى للغزالي 137/2 .

36 البحر المحيط للزركشي 1/ 88 .

37 العقل وفهم القرآن للمحاسبي . تحقيق د. حسين القوتلي ص 203.

38 إحيار علوم الدين للغزالي 111/1 – 112.

39 المقاصد العامة للشريعة الإسلامية د. يوسف حامد العالم ص 328.

40 مراتب قوة النفس لإشراق العقل هي : 1- العقل الهيولاني 2- العقل بالملكة 3- العقل بالفعل 4- العقل المستفاد.وتطبيق ذلك إن الإنسان إن كان خالي الذهن من قضية ما فعقله هنا هولاني واستعداده لتعلم هذه القضية يسمى العقل بالملكة فإن تعلمها ينتقل للعقل بالفعل إذ يستطيع أن يسقط ما تعلمه على أرض الواقع فإذا طبق ما تعلم انتقل للعقل المستفاد ، انظر شرح التلويح على التوضيح158/2.

41 شرح التلويح على التوضيح 157/2.
42 مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة د. محمد علي الجوزو ص 99.
43 العقل والشريعة مباحثٌ في الابستمولوجيا العربية والإسلامية د. مهدي فضل الله 16 – 17، ونقل كلام الغزالي من كتابه معارج القدس في مدارج معرفة النفس 57–58 .
44 كتاب فصل المقال ما بين الحكمة والشريعة من اتصال – لابن رشد 49 – 50.
45 المنقذ من الضلال للغزالي ص 77.
46 حفريات المعرفة العربية الإسلامية : التعليل الفقهي د. سالم يفوت 228.
47 معارج القُدس في مدارج معرفة النفس لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي 55 – 56، وانظر كتاب الداعي إلى الإسلام لكمال الدين أبي البركات الأنباري دراسة وتحقيق سيد حسين باغجوان 293، وانظر كتاب: نقد العقل العملي للفيلسوف عمانوئيل كنت ترجمة الأستاذة أحمد الشيباني 8 ، وانظر: علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية د. على جمعة محمد 23 وما بعدها
48 الظاهرة القرآنية أ. مالك بن نبي ترجمة د. عبد الصبور شاهين 282 . وانظر محاضرات في الايديلوجيا المقارنة أ – محمد تقي مصباح البزدى 18 – 19 .
49 تأملات الأستاذ مالك بن نبي 172.
50 المصدر السابق 161.
51 القضايا الكبرى الأستاذ مالك بن نبي50.
52 شروط النهضة الأستاذ مالك بن نبي ترجمة أ. عمر كامل مقادي و د. عبد الصبور شاهين 84.
53 الصراع الفكري في البلاد المستعمرة الأستاذ مالك بن نبي 107.
54 مشكلة الثقافة الأستاذ مالك بن نبي ترجمة د. عبد الصبور شاهين 118، وانظر أهداف التشريع الإسلامي د. محمد حسن أبو يحيى 560 وما بعدها ، غسل الدماغ د. فخر الدباغ 88.
55 ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية الأستاذ مالك بن نبي. ترجمة د. عبد الصبور شاهين: 40 – 41.
56 في مهب المعركة الأستاذ مالك بن بني 151.
57 بين الرشاد والنية الأستاذ مالك بن نبي 95.
58 وجهة العالم الإسلامي الأستاذ مالك بن نبي ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين 42– 43 وانظر : الوعي الفكري في الحضارة الإسلامية أ . عبد الفتاح أبو زايد 129. وانظر: قيمة العقل في الإسلام أ. محمد الصايم 59.
59 فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندوج الأستاذ مالك بن نبي ترجمة د. عبد الصبور شاهين 181.
60 المسلم في عالم الاقتصاد الأستاذ مالك بن نبي 59.
61 كيف نتعامل مع القرآن للإمام محمد الغزالي 58.
62 العقل والعلم في القرآن الكريم د. يوسف القرضاوي 21.
63 المصدر السابق رقم 96.
64 حتى يغيروا ما بأنفسهم الأستاذ جودت سعيد 27.
65 المصدر السابق 203، وانظر أسباب حياة الأمم وسقوط الحضارات أ . عبد الحميد محمود طهمران 43 – 44.
66 العمل قدرة وإرادة الأستاذ جودت سعيد 196.

67 مذهب ابن آدم الأول مشكلة العنف في العمل الإسلامي الأستاذ جودت سعيد 55- 56.
68 اقرأ وربك الأكرم الأستاذ جودت سعيد 118.
69 فقدان التوازن الاجتماعي الأستاذ جودت سعيد 54.
70 الإنسان كلاً وعدلاً : الأستاذ جودت سعيد 59.
71 أزمة الفكر الإسلامي الحديث د. محمد عمارة 22 – 23 ، وانظر المبادئ والقيم في التربية الإسلامية د. محمد جميل خياط 331.
72 حوار مع صديقي الملحد د. مصطفى محمود. 35.
73 رحلتي من الشك إلى اليقين د. مصطفى محمود 6 ، وانظر أضواء على الفكر الفلسفي د. عبدالمقصود عبد الغني 251.
74 الوعي الفكري في الحضارة الإسلامية الأستاذ عبد الفتاح أبو زايدة 45 – 46 .
75 المسلمون والعلم الحديث الأستاذ عبد الرزاق نوفل 30 ، وأنظر : موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية الشيخ حسن خالد 75.
76 نقد العقل العربي الشيخ الركابي 9 .
77 اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية 250.
78 التآلف بين الفرق الإسلامية الأستاذ محمد حمزة 137.
79 خلافة الإنسان بين الوحي والعقل. د. عبد المجيد النجار 116.
80 مجلة المجلس الإسلامي الأعلى ، دورية في الثقافة الإسلامية الجزائر 6
81 المثنوي العربي النوري : بديع الزمان سعيد النورس ترجمة إحسان قاسم الصالحي 6/ 225، وانظر صراع بين النفس والعقل د. عبد الكريم الدهينة 11، الفكر الإسلامي د . محمد الصادق عفيفي 66- 67 العلم يدعو للإيمان أ. كريس موريس ترجمة أ. محمود الفلكي 189.
82 الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي 23/1.
83 المكتوبات بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالح 562/2.
84 اللمعات :بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 3/ 567.
85 المصدر السابق 118/3.
86 الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 117/4.
87 إشارات الإعجاز: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 158/5.
88 الملاحق في فقه دعوة النور: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 105/7.
89 صيقل الإسلام : بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 8/ 52.
90 صيقل الإسلام : بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 8/ 122 .
91 صيقل الإسلام : بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 522/8 .
92 سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني73/9.
93 الموافقات للشاطبي 87/1.
94 الموافقات للشاطبي 35/1.
95 انظر : الموافقات للشاطبي 87/1 ، 35/1 ، 27/3 ، 43/3 ، 41/3 ، 3/ 46، 52/3 – 53.
96 المصدر السابق 29/8.
97 انظر تكوين العقل العربي 96 وما بعدها وبنية العقل العربي 513 وما بعدها د. محمد عابد الجابري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم وفي هامشه الملل والنحل للشهرستاني الهامش 1 / 51 وما بعدها وفي المتن 91/2 وما بعدها . كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل لأحمد بن يحيى

اليماني تحقيق د . محمد جواد مشكور 18 وما بعدها 39 وما بعدها . مقالات الإسلاميين في اختلاف المصلين للأشعري 155 وما بعدها . مقدمة ابن خلدون 429 وما بعدها . العقل عند الأصوليين د. عبد العظيم محمود الدين 49 وما بعدها . ابن رشد سيرة وفكر دراسة ونصوص د. محمد عابد الجابري 103 وما بعدها. خلافة الإنسان د. عبد المجيد النجار 89 وما بعدها . العقل والنفس والروح لعبد الجبار الوائلي 7 وما بعدها . موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده تحقيق د. علي دحروج 207 وما بعدها و 328 وما بعدها . أسس التقدم عند مفكري الإسلام د. فهمي جدعان 25 وما بعدها . مصطلحات جامع العلوم «الملقب بدستور العلماء » لأحمد نكري تحقيق د. علي دحروج 743 وما بعدها. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري 241/1 وما بعدها .

98 المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 2/ 417 .

99 الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 28/1.

100 الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 1/ 848 .

101 الموافقات للشاطبي 2 / 60.

102 اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 3/ 118 .

103 الكلمات : بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 363/1 .

104 اللمعات : بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 116/3 .

105 الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحاني 4/ 645 .

106 صيقل الإسلام لبديع الزمان سعيد النّورسي 33 .

107 الكلمات لبديع الزمان النورسي 879 .

108 الكلمات لبديع الزمان النورسي 423 .

109 من نثر الدر للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي، السفر الأول 312.